# الموسوعة الندية

# في الخطب المنبرية

( ٢ )

**حقوق الطبع محفوظة للمؤلف**

**الطبعة الأولى**

**١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م**

**اسم الكتاب:** الموسوعة الندية في الخطب المنبرية (الجزء الثاني)
**اسم المؤلف:** سعد عوض
**القطع:** ١٧×٢٤سم
**عدد الصفحات:** ٤٤٧ صفحة
**سنة الطبع:** ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

**رقم الإيداع: ٣٩٣٩/ ٢٠١٦**

**ترقيم دولي: ٩٧٨-٩٧٧-٣٩٠-٢١٩-٢**

توزيع

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع دار الفوائد

المركز الرئيسي: فارسكور- تليفاكس: ٠٠٢٠٥٧٣٤٥٤٤٥٥ - جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر- هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥
فرع المنصورة: ٣٣ عزبة عقل - هاتف: ٠١٠٢٥٣٦٠٣٣٥
**Web site: www.daribnragb.com**
**Email: ibnragb@gmail.com**

# الموسوعة الندية في الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ

الشحات نبيه

إعداد الشيخ

سعد عوض

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة الشيخ / الشحات نبيه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فإنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

ثم أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وأحسن الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

هذا هو الجزء الثاني من كتاب الموسوعة الندية في الخطب المنبرية، يحتوي علىٰ مجموعة من البصائر المأخوذة من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسول الله ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فالمنهج الدعوي علىٰ بصيرة لهذه البصائر؛ لتحيا به قلوب ميتة، وتُفْتَحَ به آذان صم، وأعين عمي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ونقول كما قال مسلمو الجن لما سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٣١].

فهذا كتاب ميسر في بسط الحكمة، وعرض الفكرة، ويتفق مع الفطرة، فيه من حلية الوعاظ ما يعين علىٰ الخطاب، فإن كان فيه من صواب فبفضل الله الوهاب، وإن كان فيه من خطإٍ فإليه متاب، والله الموفق علىٰ القصد من هذا الكتاب.

**أخوكم / الشحات نبيه**

كفر الحاج شربيني / شربين / دقهلية

أنصار السنة المحمدية

# مقدمة / سعد عوض

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فإنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

ثم أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وأحسن الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كَانَتْ خُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ عَلَىٰ إِثْرِ ذَلِكَ وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ** وَيُقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ»»(١).

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة.

**قال د/ صالح بن عبد الله بن حميد:**

الغرض من الخطب الدعوة إلىٰ الصلاح والإصلاح، والاستمساك بأمور الشريعة، وإقامة الحق والعدل، ونشر الفضائل، وتسكين الفتن، وفض المشكلات، وتهدئة النفوس الثائرة، وإثارة النفوس الفاترة، ترفع الحق، وتخفض الباطل، هي صوت المظلومين، وواعظ الظالمين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فمن أجل هذا الذي ذكر ولغيره من الأدلة الموجودة في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة علىٰ صاحبها أفضل صلاة وأزكىٰ تسليم.

قمت مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإعداد الجزء الثاني من الموسوعة الندية في الخطب المنبرية، لشيخنا الفاضل فضيلة الشيخ/ الشحات نبيه - حفظه الله تعالىٰ - طالبًا من ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العون والتوفيق والسداد والإخلاص، وأن ينفعني والمسلمين بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

الراجي عفو ربه

**أبو عمر/ سعد عوض**

عين شمس / القاهرة

# (١) الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ

**أما بعد:**

حقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل، فإنّ الله سبحانه هيّأ الإنسان لقبول الكمال، فألهمه ومكّنه، وعرّفه وأرشده، وأرسل إليه رسله، وأنزل إليه كتبه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فعبَّر عن خلق النَّفس بالتَّسوية والدَّلالة علىٰ الاعتدال والتَّمام، ثمَّ أخبر عن قبولها للفجور والتَّقوىٰ، وأنَّ ذلك نالها منه امتحانًا واختبارًا. ثمَّ خصَّ بالفلاح من زكَّاها فنمَّاها وعلَّاها ورفعها بآدابه التي أدَّب بها رسله وأنبياءه وأولياءه، وهي التَّقوىٰ، ثمَّ حكم بالشَّقاء علىٰ من دسَّاها، فأخفاها وحقَّرها، وصغَّرها وقمعها بالفجور.

**أدب الرسول ﷺ مع الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧].

إنَّ هذا وصف لأدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانبًا، ولا تجاوز ما رآه، وهذا كمال الأدب، والإخلال به أن يلتفت النّاظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلّع أمام المنظور. فالالتفات زيغ، والتَّطلُّع إلىٰ ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة. فكمال إقبال النّاظر علىٰ المنظور أن لا يصرف بصره عن يمنة ولا يسرة، ولا يتجاوزه.

ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أدب الأنبياء والرسل مع الله عَزَّوَجَلَّ:

وتأمَّل أحوال الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابهم وسؤالهم، كيف تجدها كلَّها مشحونة بالأدب قائمة به؟.

**قال المسيح** عليه السلام ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، ولم يقل: «لم أقله». وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب، ثمّ أحال الأمر علىٰ علمه سبحانه بالحال وسرّه، فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ [المائدة: ١١٦].

ثمَّ برَّأ نفسه عن علمه بغيب ربّه وما يختصُّ به سبحانه، فقال: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] ثمَّ أثنىٰ علىٰ ربِّه، ووصفه بتفرُّده بعلم الغيوب كلِّها، فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦] ثمَّ نفىٰ أن يكون قال لهم غير ما أمره ربُّه به وهو محض التَّوحيد- فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

ثمَّ أخبر عن شهادته عليهم مدَّة مقامه فيهم وأنَّه لا اطِّلاع له عليهم وأنّ الله عز وجل وحده هو الذي يطلع عليهم. فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] ثمَّ وصفه بأنَّ شهادته سبحانه فوق كلِّ شهادة وأعم، فقال: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧] ثمَّ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام. فلماذا يعذِّب أرحم الرَّاحمين، وأجود الأجودين، وأعظم المحسنين إحسانًا عبيده؟ إلا بسبب عتوِّهم، وإبائهم عن طاعته، وكمال استحقاقهم للعذاب. ثمَّ قال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨].

**وهذا إبراهيم الخليل ﷺ يقول:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠] ولم يقل: «وإذا أمرضني» حفظًا للأدب مع الله.

**وكذلك قول الخضر ﷺ في السَّفينة:** ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] ولم يقل: «فأراد ربُّك أن أعيبها» وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وكذلك قول مؤمني الجنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجن: ١٠] ولم يقولوا: «أراده ربُّهم» ثمَّ قالوا: ﴿أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠].

**وتدبر قول موسى ﷺ:** ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَىَّ مِنۡ خَيۡرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص: ٢٤] **ولم يقل: «أطعمني».**

وقول آدم ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣]، ولم يقل: «ربِّ قدَّرت عليَّ وقضيت عليَّ».

**وقول أيُّوب ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل: «فعافني واشفني».

**وقول يوسف لأبيه:** ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰىَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِىٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل: «أخرجني من الجبِّ» حفظًا للأدب مع إخوته. ولهذا لم يكن كمال هذا الخُلُق إلَّا للرُّسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ومن هذا أمر النَّبيُّ ﷺ الرَّجل فعن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده قال: «قلت: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ**

**زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**» قال: قلت: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض قال: «**إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا**». قلت: يا رسول الله، إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: «**اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**»»(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

وقال بعضهم: الزم الأدب ظاهرًا وباطنًا، فما أساء أحد الأدب في الظَّاهر إلَّا عوقب ظاهرًا، وما أساء أحد الأدب باطنًا إلَّا عوقب باطنًا.

والأدب مع الله تعالىٰ: هو القيام بدينه، والتَّأدُّب بآدابه، ظاهرًا وباطنًا.

ولا يستقيم لأحد قطُّ الأدب مع الله تعالىٰ إلَّا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحبُّ وما يكره، ونفس مستعدَّة قابلة ليِّنة متهيِّئة لقبول الحقِّ علمًا وعملًا وحالًا.

ومن الأدب مع الله التَّأدُّب مع القرآن وتلاوته وتدبُّره ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤] لأنَّ في ذلك العلم والمعرفة بما أمر به الله عَزَّوَجَلَّ ونهىٰ عنه وتعظيم شعائره وعدم انتهاك محارمه.

(١) أبو داود: ج ٤/ كتاب الحمام باب (٣/ ٤٠١٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

ومن الأدب مع الله التَّوجُّه إليه سبحانه بالدُّعاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٧٧].

نسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يرزقنا الأدب معه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**الدعاء**

# (٢) صفة العظمة

**أما بعد:**

عظمة الخالق جل وعلا لا يبلغ العبادُ الفقراء العاجزون الحديث عنها، ولا الخوض في قدرها، وكيف يفعلون وهم أضعف وأعجز عن الاستقلال بشيء من أسبابهم وحقائقهم، فكيف بالحديث عن خالقهم ذي الجلال والجمال والكمال المطلق، الذي قال في كتابه الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢١- ٢٤].

فالكرسي الذي هو موضع قدميه سبحانه قد وسع السماوات والأرض وقد جاء في آية الكرسي قوله عَزَّوَجَلَّ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفي حديث أبي ذر الغفاري الطويل أنه سأل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قلت: يا رسول الله، فأي آية مما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليك أعظم؟ قال: «**آيَةُ الْكُرْسِيِّ**». ثم قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ**

**الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلْقَةِ»**(١).

**فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظيم وكلامه عظيم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧]

القرآن يُغني عن جميع المعجزات الحسِّية والمعنوية؛ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد، وإعجازه في وجوه كثيرة: الإعجاز البلاغي والبياني، والإخبار عن الغيوب بأنواعها، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي الحديث؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ عَلَىٰ مَا مِثْلُهُ آمَنَ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

والنبي الذي أنزل عليه القرآن نبي عظيم فهو الذي قال عنه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

والشرع الذي جاء به هذا النبي ﷺ كله عظيم، وأعظم عبادة فيه توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأعظم معصية وأكبر الكبائر هو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٠ – ٣٣].

---

(١) حلية الأولياء – الصفحة أو الرقم: (١/ ٢٢١).

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، برقم ٤٩٨١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلىٰ جميع الناس، برقم ١٥٢.

عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قلت: ثم أي؟ قال: **أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**. قلت: ثم أي؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**» متفق عليه[1].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

ويوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين للعرض والحساب وصفه الله بأنه يوم عظيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم: ٣٧].

فمن عصىٰ الله ورسوله وقع في الشرك والكفر والبدع والكبائر والموبقات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٥، ٣٠٢، ٤/ ١١٥، ٣٠٠، ٣١٤، ٤٨٨) ومسلم (١/ ٦٣) وأبو داود أيضًا (٢٣١٠) والنسائي (٢/ ١٦٥) والترمذي (٢/ ٣٠٥).

ومن يطع الله ورسوله فجزاؤه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

والجنة التي وعد الله عباده المتقين قال تعالىٰ عنها: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

**الدعاء**

# (٣) أنواع الإرادة

**أما بعد:**

وردت الإرادة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سنة نبيه ﷺ على أنواع أولها إرادة الله عَزَّوَجَلَّ، وإرادة الله عَزَّوَجَلَّ منها ما كان بمعنى المشيئة فهي إرادة كونية، وما كان بمعنى المحبة فهي إرادة شرعية، مثال الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧]؛ لأن «يريد» هنا بمعنى يحب، ولا تكون بمعنى المشيئة؛ لأنه لو كان المعنى: «والله يشاء أن يتوب عليكم»، لتابَ على جميع العباد، وهذا أمر لم يكن فإن أكثر بني آدم من الكفار، إذًا: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني يحب أن يتوب عليكم، ولا يلزم من محبة الله للشيء أن يقع؛ لأن الحكمة الإلهية البالغة قد تقتضي عدم وقوعه.

**ومثال الإرادة الكونية:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ [هود: ٣٤]؛ لأن الله لا يحب أن يغوي العباد، إذًا لا يصح أن يكون المعنى: إن كان الله يحب أن يغويكم، بل المعنى: إن كان الله يشاء أن يغويكم.

ولكن بقي لنا أن نقول: ما الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية من حيث وقوع المراد؟

**فنقول:** الكونية لا بد فيها من وقوع المراد إذا أراد الله شيئًا كونًا فلا بد أن يقع.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

أما الإرادة الشرعية فقد يقع المراد وقد لا يقع، قد يريد الله عَزَّوَجَلَّ هذا الشيء شرعًا ويحبه ولكن لا يقع؛ لأن المحبوب قد يقع وقد لا يقع. فإذا قال قائل: هل الله يريد المعاصي؟

**فنقول:** يريدها كونًا لا شرعًا، لأن الإرادة الشرعية بمعنىٰ المحبة والله لا يحب المعاصي، ولكن يريدها كونًا أي مشيئة، فكل ما في السماوات والأرض فهو بمشيئة الله(١).

**إرادة الشيطان:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

هذه الآية تدل علىٰ تحريم اللعب بالنرد والشطرنج قمارًا أو غير قمار؛ لأن الله تعالىٰ لما حرم الخمر أخبر بالمعنىٰ الذي فيها فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ الآية.

فكل لهو دعا قليله إلىٰ كثير، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو كشرب الخمر، وأوجب أن يكون حرامًا مثله. فإن قيل: إن شرب الخمر يورث السكر فلا يقدر معه علىٰ الصلاة، وليس في اللعب بالنرد والشطرنج هذا المعنىٰ. قيل له: قد جمع الله تعالىٰ بين الخمر والميسر في

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الأول - باب الأسماء والصفات.

التحريم، ووصفهما جميعًا بأنهما يوقعان العداوة والبغضاء بين الناس، ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، ومعلوم أن الخمر إن أسكرت فالميسر لا يسكر، ثم لم يكن عند الله افتراقهما في ذلك يمنع من التسوية بينهما في التحريم لأجل ما اشتركا فيه من المعاني، وأيضًا فإن قليل الخمر لا يسكر كما أن اللعب بالنرد والشطرنج لا يسكر، ثم كان حرامًا مثل الكثير، فلا ينكر أن يكون اللعب بالنرد والشطرنج حرامًا مثل الخمر وإن كان لا يسكر. وأيضًا فإن ابتداء اللعب يورث الغفلة، فتقوم تلك الغفلة المستولية علىٰ القلب مكان السكر، فإن كانت الخمر إنما حرمت؛ لأنها تسكر فتصد بالإسكار عن الصلاة، فليحرم اللعب بالنرد والشطرنج لأنه يغفل ويلهي فيصد بذلك عن الصلاة، والله أعلم.

**ثانيًا: إرادة أهل الكفر:**

يجب أن نعلم أنّ الإسلام ونور الوحيين الكتاب والسنّة محفوظان بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يَكِلِ الله عَزَّوَجَلَّ حفظهما لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، وإنَّما الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي تكفل بحفظهما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

فمهما كثر العصاة والمفسدون فلن يضرُّوا الإسلام شيئًا، وإنّما بغيهم علىٰ أنفسهم، وفسادهم راجع عليهم، وستدور الدائرة عليهم فيما بعد، وعلىٰ الباغي تدور الدوائر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ ﴾ [القيامة: ٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا

بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: ٧٩].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**إرادة أصحاب النار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ

مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧].

## إرادة أهل الإيمان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم: ٣٨].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨ – ٢٩].

الدعاء

# (٤) بإذن الله

**أما بعد:**

فلا شك أن كل ما يحدث في هذا الكون لا يكون إلا بقضاء الله تعالىٰ وقدره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

وهذه آية عظيمة تقرر أصلًا من أصول السعادة والسكينة والطمأنينة، وتوضح مَعْلَمًا من معالم صلاح الحال والبال، قال ابن كثير: أي من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدىٰ الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدىٰ في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقد يُخْلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه.

قال المناوي في «فيض القدير»: لن ينفع حذر من قدر ـ أي لا يجدي، إذ لا مفر من قضائه تعالىٰ، فهو واقع علىٰ كل حال، والحَذر: الاستعداد والتأهب للشيء، والقَدَر القضاء الذي يقدره الله تعالىٰ.

فالموت والحياة والشفاء وكل شيء في هذا الكون لا يكون إلا بإذن الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

عنْ أبي عبدِ الرَّحمنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ، وهو الصَّادِقُ المصْدُوقُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ، وَيُؤمَرُ بأرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيد**»(١).

الهداية بإذن الله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ٩٩-١٠٠].

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبرهيم: ١].

عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ أنه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

ويوم القيامة لا كلام إلا بإذن من الله حتىٰ الملائكة، يقول جل وعلا: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾ [النبأ: ٣٨].

**الشفاعة بإذن الله:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ويقول تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد النّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلّم: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

(١) أخرجه البخاري وأحمد.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفىٰ، وصلاة وسلامًا علىٰ عباده الذين اصطفىٰ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وأهل الإيمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بإذن ربهم.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣].

عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَازٍ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**»(١).

وأما المجرمون فلا إذن لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥ – ٣٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الروم: ٥٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

### الدعاء

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

## (٥) فضل لا إله إلا الله

**أما بعد:**

إِنَّهَا كلمة يعلنها الْمُسلمُونَ فِي أذانهم وإقامتهم وَفِي خطبهم ومحادثاتهم وَهِي كلمة قَامَت بهَا الأَرْض وَالسَّمَاوَات، وخلقت لأَجلهَا جَمِيع الْمَخْلُوقَات، وَبهَا أرسل الله رُسُله وَأنزل كتبه وَشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين وَوضعت الدَّوَاوِين وَقَامَ سوق الْجنَّة وَالنَّار، وَبهَا انقسمت الخليقة إِلَىٰ مُؤمنِينَ وكفار، فَهِيَ منشأ الْخلق وَالأَمر وَالثَّوَاب وَالْعِقَاب، وَعَلَيْهَا نصبت الْقبْلَة، وَعَلَيْهَا أسست الْملَّة، ولأجلها جردت سيوف الْجِهَاد، وَهِي حق الله علىٰ جَمِيع الْعباد، فَهِيَ كلمة الإِسْلام، ومفتاح دَار السَّلام، وعنها يُسْأَل الأَولونَ وَالآخرُونَ ... فَلَا تَزُول قدما العَبْد بَين يَدي الله حَتَّىٰ يسْأَل عَن مَسْأَلَتَيْنِ: (مَاذَا كُنْتُم تَعْبدُونَ، وماذا أجبتم الْمُرْسلين)، وَجَوَاب الأولىٰ بتحقيق لا إِلَه إِلا الله معرفَة وَإِقْرَارًا وَعَملًا، وَجَوَاب الثَّانِيَة بتحقيق مُحَمَّد رَسُول الله معرفَة وانقيادًا وَطَاعَة[1].

**هِي التي شهد الله بها لنفسه وشهد له بها الملائكة وأولوا العلم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

**كلمة التَّقْوَىٰ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

(١) زَاد الْمعَاد لِابْنِ الْقيم.

سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦].

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: وهي قول «لا اله إلا الله»(١).

## العروة الوثقى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: قال سعيد بن جبير والضحاك: يعني لا إله إلا الله.

## الكَلِمَةُ باقِيَةٌ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٨].

قال ابن كثير: وهي لا إله إلا الله أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالىٰ من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي إليها.

## نجاة من النار:

عن عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَنْ يُوافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**»(٢).

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا**

---

(١) تفسير ابن كثير – سورة الفتح: (من الآية ٢٦).
(٢) رواه البخاري.

اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»[١].

**ثقل الميزان:**

عَن عبد الله بن عَمْرو قال: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ ثُمَّ يُقَالُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ فَيَهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا، فَيُقَالُ بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، إِنَّه لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِه الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**»[٢].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**ومن فضائل لا إله إلا الله**: الفوز بشفاعة رسول الله ﷺ: عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قيلَ يا رسولَ اللهِ، مَنْ أسعدُ الناسِ بِشَفاعَتِكَ يومَ القيامةِ؟ قال رسولُ اللهِ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ رقم (٢٦٤١) فِي الْإِيمَان. وَالْحَاكِم (١/ ٦ – ٥) وَغَيرهمَا.

ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(١).

**قائل لا إله إلا الله معصوم الدم والمال:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»(٢).

**الدعاء**

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان.

# (٦) الكلمة الباقية

**أما بعد:**

الباقية هي التي قال الله عنها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٨].

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: أنه تبرَّأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهى «لا إله إلا الله»؛ أي: جعلها دائمة في ذريته، يقتدي به فيها مَن هداه الله من ذرية إبراهيم[(١)].

فالكلمة الباقية هي البراءة من الشرك وأهله كما بَيَّنَ ابن كثير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

---

(١) تفسير ابن كثير.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: وقد بيَّن تعالىٰ هذا التأسي المطلوب، وذلك بقوله: ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

**فالتأسي هنا في ثلاثة أمور:**

أولًا: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله.

ثانيًا: الكفر بهم.

ثالثًا: إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبدًا إلىٰ الغاية المذكورة حتىٰ يؤمنوا بالله وحده، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبدًا، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا آمنوا بالله وحده انتفىٰ كل ذلك بينهم(١).

فيجب علينا أن نتأسىٰ بخليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في براءته من الشرك وأهله مع أنهم قومه، وقد أمرنا ربنا باتباع ملته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

فالواجب علىٰ المسلم أن يتبرأ من عابدي غير الله، وأن يعتقد كفرهم وضلالهم حتىٰ يؤمنوا بالله وحده سبحانه، كما حكىٰ الله عن إبراهيم والأنبياء جميعًا، وهكذا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي، ط دار الفكر.

**والكفر بالطاغوت معناه:** البراءة من عبادة غير الله، واعتقاد بطلانها، وأن الواجب علىٰ كل مكلف أن يعبد الله وحده، وأن يؤمن به، وأن يعتقد أن الله وحده هو المستحق للعبادة، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام وأشجار وأحجار أو جن أو ملائكة أو غير ذلك، فإنه معبود بالباطل(١).

وقد نزلت البراءة من الشرك والمشركين في صدر سورة التوبة التي لها عدة أسماء من بين هذه الأسماء تسمىٰ أيضا بسورة براءة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ① فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ② وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾ [التوبة: ١-٣].

وهذه ملة إبراهيم الخليل ﷺ وهي الدين القويم والصراط المستقيم، ومبناها الحب في الله والبغض في الله والموالاة فيه والمعاداة فيه، إذ هى أوثق عرىٰ الإيمان ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كَثُرت صلاته وصومه حتىٰ يكون كذلك(٢).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

---

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب.

(٢) كتاب الجواب الفائض في الرد علىٰ أرباب القول الرائض تأليف/ سليمان بن سحمان (ص٦) مخطوطة في جامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٣٤١٣).

**والقرآن الكريم حدثنا أن في يوم القيامة براءة الملائكة من المشركين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ – ٤١].

**وبراءة الصالحين من المشركين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٧ – ١٨].

**وبراءة الأشقياء يوم اللقاء في فصل القضاء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٢ – ٦٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٦ – ١٦٧].

**الدعاء.**

# (٧) بين الأعداد والعقيدة

**أما بعد:**

فقد وردت الأعداد كثيرًا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سنة نبيه ﷺ، ولكننا اليوم نريد أن نلقي الضوء على الأعداد عند ورودها في الأمور العقائدية ونستخرج من ذلك الفوائد والعبر والعظات، والأمثلة على ذلك كثيرة ولكننا نكتفي بمثال واحد لكل عدد، وإلا فالحديث يطول ويطول، وسيكون التركيز على الأعداد من العدد واحد إلى العدد عشرة.

**العدد واحد:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة: ١٦٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾ [إبراهيم: ٥٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢)﴾ [النحل: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ [الحج: ٣٤].

**العدد اثنان:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١)﴾ [النحل: ٥١].

**العدد ثلاثة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

**العدد أربعة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ٩-١٠].

وعن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»(١).

**العدد خمسة:**

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،**

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وابن حبان.

وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[(١)].

**العدد ستة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

عن قتادة، قالت اليهود: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

**العدد سبعة:**

**وهو يرتبط بتوحيد الربوبية في خلق الله سبع سماوات وسبع أراضين.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

**وأيضًا يرتبط بالإيمان باليوم الآخر حيث إن الله خلق لجهنم سبعة أبواب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣ – ٤٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**العدد ثمانية:**

وهو أيضًا مرتبط بالإيمان بالغيب، حيث خلق الله للجنة ثمانية أبواب، وقد ذكر الله تعالىٰ أن الجنة لها أبواب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

فالجنة لها أبواب وعددها ثمانية، وقد ثبت ذلك في غير ما حديث عن النبي ﷺ، فقد ثبت عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا**

رَسُولُ اللهِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»(١).

**العدد تسعة:**

العدد تسعة يرتبط بالإيمان بالرسل ففي قصة موسىٰ عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ١٢].

**العدد عشرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩].

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»(٢).**

**الدعاء.**

(١) صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد ورواه أهل السنن.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

# (٨) الأعداد في القرآن والسنة

**أما بعد:**

فعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**»(١).

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ معلقًا علىٰ هذا الحديث فقال: «وأما خاصية السبع فإنها وقعت قَدَرًا وشرعًا، فخلق الله عَزَّوَجَلَّ السموات سبعًا، والأرضين سبعًا، والأيام سبعًا، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، وشرع الله لعباده الطواف سبعًا، والسعي بين الصفا والمروة سبعًا، ورمي الجمار سبعًا سبعًا، وتكبيرات العيدين سبعًا في الأولىٰ، وقال ﷺ: «**مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ**» وإذا صار للغلام سبعُ سنين خُيِّر بين أبويه في رواية، وفي رواية أخرىٰ: أبوه أحق به من أمه وفي ثالثة: أمه أحق به، وأمر النبي ﷺ في مرضه أن يصب عليه من سبع قرب، وسخَّر الله الريح علىٰ قوم عاد سبع ليال، ودعا النبي ﷺ أن يعينه الله علىٰ قومه بسبع كسبع يوسف، -أي سبع سنوات من الجدب - ومَثَّل الله سبحانه ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والسنابل التي رآها صاحب يوسف سبعًا، والسنين التي زرعوها سبعًا، وتضاعف الصدقة إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفًا»(٢).

فإذا ألقينا الضوء علىٰ بعض كلام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ خلق الله السماوات

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٤٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٠٤٧).

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٩٠).

سبعًا والأرضين سبعًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ: ١٢].

**وخلق الله الأيام سبعًا:**

قال النبي ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَاتِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِرَ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَىٰ اللَّيْلِ**»(١).

**أطوار خلق الإنسان سبعًا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ [الحج: ٥].

**الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة سبعًا:**

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، وصلى خلف المقام

---

(١) صحيح مسلم.

ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة سبعًا، وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة(١).

**تعليم الأولاد الصلاة لسبع:**

قال رسول الله ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(٢).

وهذا من حقوق الأولاد علىٰ آبائهم؛ أن يأمروهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنوات، وأن يضربوهم عليها أي: علىٰ التفريط فيها وإضاعتها إذا بلغوا عشر سنين، ولكن بشرط أن يكون الطفل ذا عقل. والصلاة لا تصح إلا بفاتحة الكتاب، قال ﷺ: «**لا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»(٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

وعن أبي سعيد بن المعلىٰ، قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه ثم أتيته. فقلت: يا رسول الله! إني كنت أصلي قال: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ**: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]؟» ثم قال: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟**» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله! إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة من القرآن. قال: «**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ**

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٣) رواه ثائي (١/ ١٤٥)، والترمذي (٢/ ٢٥)، والدارمي (١/ ٢٨٣)، وابن ماجه (٨٣٧)، والدارقطني (١٢٢)، وكذا الشافعي في «الأم» (١/ ٩٣)، والطبراني في «الصغير» (٤٢)، والبيهقي (٢/ ٣٨، ١٦٤، ٣٧٤، ٣٧٥)، وأحمد (٥/ ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٢).

**الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتَهُ»**(١).

**وفي الزكاة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

**سبع يوسف عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٥-٤٩].

وعن أبي هريرة: كان ﷺ إذا رفع رأسه من الركعة الثانية، قال: «**اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَام، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ**». وفي رواية: في صلاة الفجر. وفي رواية: ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله تعالىٰ عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨](٢).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**سبع قوم عاد:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ (١) مَا ٱلْحَآقَّةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ (٨)﴾ [الحاقة: ١-٨].

**وجهنم لها سبعة أبواب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)﴾ [الحجر: ٤٤].

**الدعاء.**

# (٩) التخلي والتحلي والتجلي

**أما بعد:**

جناحي الإصلاح والتَّربية الصَّحيحة هما: «التَّخلية والتَّحلية»، ولا بدَّ من التَّخلية قبل التَّحلية، فلا يكون العبد صادقًا متحلِّيًا بهذه الفضيلة إلا إذا تخلَّىٰ عن الكذب، ولن يكون شجاعًا إلا إذا تخلَّص من الجبن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

بدأ الله عَزَّوَجَلَّ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ولهذا يقال: التخلية قبل التحلية[١].

**لا إله إلا الله:**

لَهَا ركنان: الرُّكْن الأول: النَّفْي. والركن الثَّانِي الْإِثْبَات. وَالْمرَاد بِالنَّفْيِ نفي الإلوهية عَمَّا سوىٰ الله تَعَالَىٰ من سَائِر الْمَخْلُوقَات.

فَفِي الصَّحِيح عَن النَّبى صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**»[٢].

وَهِي أول مَا يُطْلب من الْكفَّار عِنْدَمَا يُدعونَ إِلَىٰ الْإِسْلَام؛ نفي الألوهية عما سوىٰ الله، وإثباتها لله وحده لا شريك له، فهذا هو ركنا التخلي والتحلي في شهادة التوحيد يظهر التجلي علىٰ أهل الإيمان.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن العثيمين.

(٢) رواهُ مُسلم في الْإِيمَان برقم (٢٣).

## تخلية وتحلية البيت الحرام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾؛ قال: من الأوثان.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ إن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس[(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

## محمد ﷺ جاء بالتخلية قبل التحلية:

كان أهل مكة يصنعون الأصنام من التمر أو الحلوىٰ أو الخشب ويذلون لها ويخضعون، ويقدمون لها الذبائح والأطعمة ويلجأون إليها ويدعونها من دون الله، وكان يقتل بعضهم بعضًا علىٰ أتفه الأسباب، وكانوا يقتلون أبناءهم خشية الفقر، ويئدون بناتهم دفعًا للعار، وغير ذلك من المعاصي التي كانت منتشرة في مكة في ذلك الوقت، فلما جاء النبي ﷺ بالتخلية قبل التحلية، فجاء ينهىٰ عن الشرك ويأمر بالتوحيد، وينهىٰ عن الرذيلة ويأمر بالفضيلة، وينهىٰ عن الضلالة ويأمر بالهداية، وينهىٰ عن سيئ الأخلاق ويأمر بأحسنها، قامت مكة ولم تقعد وانقلبت رأسًا علىٰ عقب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟

---

(١) تفسير ابن كثير ط دار طيبة.

﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦﴾ [ص: ٥-٦].

### وكان التجلي يظهر على رسول الله ؟!:

سئل البراء: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر[(١)].

كما ورد في حديث الثلاثة الذين خلفوا: (وكان رسول الله ﷺ إذ سرّ استنار وجهه حتىٰ كأنه قطعة قمر)[(٢)].

ولم يحرمه الله سبحانه وتعالى من هذا الجمال في الوجه، حتىٰ يوم موته، عن أنس بن مالك: (فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف)[(٣)].

وكان التجلي يظهر علىٰ أصحاب النبي ﷺ الذين تخلوا ثم تحلوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٩][(٤)].

### يوسف عليه السلام يسجن؛ لأنه تخلى ثم تحلى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ﴾ [يوسف: ٣٦].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري.

(٤) وانظر الزواجر لابن حجر (٣٣٤).

**ولماذا يسأل الفتيان يوسف عليه السلام في التأويل؟**

**والجواب:** لأن يوسف عليه السلام يظهر عليه التجلي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣٦﴾ [يوسف: ٣٦].

**ولماذا يظهر التجلي علىٰ يوسف عليه السلام؟**

**والجواب:** لأن يوسف عليه السلام تخلىٰ ثم تحلىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف: ٣٧ – ٤١].

فبين يوسف عليه السلام أنه تخلىٰ عن ملة قوم لا يؤمنون بالله بما فيها من شرك وفاحشة، وتحلىٰ باتباع ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فهذا هو فقه الأولويات ثم بعد ذلك أفتاهم يوسف عليه السلام فيما رأوه.

**الدعاء**

# (١٠) الاستعمال والاستبدال

**أما بعد:**

من أخصِّ صفات أوْلياء الله أنَّ بيْنَهم وبين ربِّهم حبًّا مُتبادلًا، فهم يحبُّون ربَّهم، وربُّهم يحبُّهم حينما كملهم، فمحبَّة الله للعبد هي أجَلُّ نِعْمة أنعم بها عليه، وأفْضل فضيلةٍ تفضَّل الله بها عليْه، وإذا أحبَّ الله عبْدَه يسَّر له الأسْباب وهوَّن عليْه كلَّ عسير، ووفَّقه لِفِعْل الخيرات وتَرْك المُنْكرات، وأقْبَل بقلوب عبادِه إليه بالمحبَّة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فمن أقامه الله علىٰ طاعة، وعلىٰ عمل صالح، علىٰ تعليم القرآن، علىٰ نشر للحق، علىٰ رعاية أيتام، وعلىٰ إطعام طعام، من أعانه الله علىٰ وصل الأرحام، من وفقه الله أن يجري الخيرُ علىٰ يديه لا ينبغي أن يتراجع، ولا ينبغي أن يقصِّر، ولا يتخلف عن مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، فالإنسان خلق ليكون عبدًا لله عَزَّوَجَلَّ، وليستعمل في طاعته، فإن عمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ فهذه هي الغاية التي من أجلها خلق، وهذا هو الاستعمال الذي ورد في حديث أنس الثابت أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا اسْتَعْمَلَهُ**»، قالوا: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «**يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ**»(١).

فالإنسان إما مستعمل في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وإلا فليس بعد الاستعمال إلا الاستبدال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد: ٣٨].

(١) الترمذي.

عن قتادة: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أستبدل قومًا غيركم، قادر والله ربنا علىٰ ذلك علىٰ أن يهلكهم، ويأتي من بعدهم من هو خير منهم(١).

فمن بدل الفطرة التي فطره الله عليها؛ فطرة الإسلام التىٰ قال الله عنها ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال عنها النبى ﷺ كما ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(٢).

فمن بدل الفطرة وبدل العهد مع الله، فإن الله عز وجل يبدل حالهم من أمن إلىٰ خوف، ومن شبع إلىٰ جوع.

### فالله قال ممتنًا على قريش:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: ٣-٤].

### فلما رفضوا الاستعمال في طاعة الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢].

### وجزاؤهم في الآخرة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) البخاري رقم (١٣١٩) ومسلم رقم (٢٦٥٨).

يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ – ٢٩].

**وقوم سبإ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥].

**فلما رفضوا الاستعمال في طاعة الله:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٦ – ١٧].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**والخير كل الخير في الاستعمال:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١﴾ [النمل: ١١].

وقال الشنقيطي في «الأضواء»: قوله تعالىٰ ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[الأنعام:١١٥]. بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه لا مبدل لكلماته، أي لأن أخبارها صدق، وأحكامها عدل، فلا يقدر أحد أن يبدل صدقها كذبًا، ولا أن يبدل عدلها جورًا، وهذا الذي ذكره هنا جاء مبينًا في مواضع أخر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥].

فقوله: صدقًا، يعني في الأخبار. وقوله: عدلًا، أي في الأحكام، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقد بين تعالىٰ في مواضع أخر أنه هو يبدل ما شاء من الآيات مكان ما شاء منها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١].

وقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس: ١٥].

**الدعاء**

# (١١) أقسام القلوب

## أما بعد:

القلب يمرض كما يمرض البدن وشفاؤه بالتوبة، والقلب يصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤه بالذكر قال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ لَتَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ**» قيل فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: «**ذِكْرُ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ**»: ألم تسمعوا قوله تعالىٰ: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]، والقلب يعرىٰ كما يعرىٰ الجسم وزينته التقوىٰ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، والقلب يظمأ ويجوع كما يظمأ ويجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة بالله ومحبته والتوكل عليه والتقوىٰ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧]، ولم تخلق النار إلا لإذابة القلوب القاسية، بل أعظم عقوبة علىٰ العبد هي قسوة القلب والبعد عن الله تعالىٰ.

## وللقلوب أحوال وأنواع منها:

القلب السليم، فالقلب السليم هو الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له، قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره. فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، وسلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما. بل قد خلصت عبوديته لله تعالىٰ إرادة ومحبة، وتوكلًا وإنابة، وخشية وإخباتًا وخوفًا ورجاء.

وخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطىٰ

أعطىٰ لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتىٰ يسلم من الانقياد والتحكيم لكل ما عدا رسول الله ﷺ:

فهذا أزكىٰ القلوب، وهو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتىٰ الله به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤].

**ومن علامات القلب السليم:**

**الإخبات:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

**اللين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

**الاطمئنان:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

**الشرح:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

**الإنابة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣٣].

**والقلب الثاني:**

القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره ولا بما يحبه ويرضاه.

بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حبًّا وخوفًا ورجاءً، ورضًا وسخطًا، وتعظيمًا وذلًّا.

إن أحب أحب لهواه.. وإن أبغض أبغض لهواه.. وهواه أحب إليه وآثر عنده من رضا مولاه.

فالهوىٰ إمامه.. والشهوة قائده.. والجهل سائقه.. والغفلة مركبه.. والسيئات تجارته.. والمعاصي بضاعته.. والمحرمات سلعته.

لا يستجيب لداع ولا ناصح، ويتبع كل شيطان مريد.. من الإنس والجن، فهذا أخبث القلوب وأنجسها وأركسها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

**ومن أمثلة القلوب الميتة:**

**القلب المختوم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿٧﴾ [البقرة: ٧].

**القلب المطبوع:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل: ١٠٨].

**القلب المقفل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

**القلب المغلف:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة: ٨٨].

**القلب المكنون:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [فصلت: ٥].

**القلب المنصرف:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: ١٢٧].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ

عنا وعنهم يا رب.

**والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة، فهو السقيم.**

فله مادتان: تمده هذه مرة.. وهذه أخرىٰ، وهو لما غلب عليه منهما.

ففيه من محبة الله تعالىٰ، والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه، ما هو مادة حياته ونجاته.

وفيه من محبة الشهوات وإيثارها، والحرص علىٰ تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة، والظلم، ما هو مادة هلاكه وعطبه.

**وهو ممتحن بين داعيين:**

داعٍ يدعوه إلىٰ الله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلىٰ العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابًا، وأعلاهما صوتًا، وأكثرها حضورًا.

فالقلب الأول حي مخبت واع لين، والثاني يابس ميت، والثالث مريض.

فإن كان له مذكر فهو إلىٰ السلامة أدنىٰ، وإن لم يكن له مذكر فهو إلىٰ العطب أدنىٰ، وهو صيد من يسبق إليه.

وقد جمع الله بين هذه القلوب الثلاثة في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج: ٥٢ – ٥٤].

**أما عن أمراض القلوب:**

فالقلوب تصاب بنوعين من الأمراض: أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.

الأول: أمراض الشبهات، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ [النور: ٥٠].

قال مجاهد وغيره: شك، فالمرض هنا: هو الشك، أي: عندهم شك في صدق القرآن وفي وعد الله عَزَّوَجَلَّ، وفي صدق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

والنوع الثاني من الأمراض: أمراض الشهوات، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ آمرًا أمهات المؤمنين ومن بعدهم نساء الأمة: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فالمرض هنا هو مرض الشهوة؛ لأن المريض يضره ما لا يضر السليم، والسليم يدفع بصحته وسلامته أضعاف ما يمكن أن يتحمله المريض.

**الدعاء**

# (١٢) الكون في خدمة العبودية

**أما بعد:**

خلق الله عَزَّوَجَلَّ الخلق وهو في غنىً عنهم، وإنما خلقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعبادته، فكل الخلق عبيد لله، سواء عبودية عامة أو عبودية خاصة، فيجب علىٰ الإنسان أن يحقق العبودية الخاصة؛ فإنها الغاية التي خلق من أجلها. فالكون كله يعبد الله عَزَّوَجَلَّ وهو غير مكلف.

**مقامات العبودية لله:**

**الكون كله علويه وسفليه خادم لعبودية الله:**

**المقام الأول التسبيح:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

**المقام الثاني الصلاة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ١٨﴾ [الحج: ١٨].

**المقام الثالث مقام الطاعة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١].

فالبشر هم المكلفون، وفيهم من أمن وأطاع وسبح وسجد وعمل لخدمة هذا الدين، وفيهم من كفر وعصىٰ فسار بعض الخلق الذين خلقوا من أجله أفضل حالًا منه؛ لأنهم غير مكلفين وعبدوا وسجدوا وسبحوا وعملوا لخدمة الدين.

**وإليكم أمثلة لخدام العبودية من المخلوقات:**

والمثال الأول هو الغراب الذي علم ابن آدم الدفن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ
يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾
[المائدة: ٣١].

والمثال الثاني هي النملة التي كانت سببًا في نجاة قومها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ
وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ
١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ
وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: ١٧ – ١٩].

والمثال الثالث هو الهدهد الذي دعا إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وحزن أشد الحزن لما وجد قوم سبأ يسجدون للشمس من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠
لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن
كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٦].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

والمثال الرابع هي النحلة التي تعلمنا الأخذ بالأسباب من أجل تحصيل الرزق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٨ – ٦٩].

عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِر ولم تُفْسِد**»(١).

والمثال الخامس كلب أهل الكهف الذي عمل علىٰ رفقة أهل الإيمان وحمايتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨].

**الدعاء**

---

(١) مسند الإمام أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر والشيخ الألباني.

# (١٣) الكون في خدمة الموحدين

**أما بعد:**

كرم الله تعالىٰ الإنسان بتسخير الكون له، وتسخير ما فيه لمنفعته وتمكينه من دوره الذي خلقه من أجله، حيث سخر له ما هو أكبر منه خلقًا كالسماوات والأرض، وأعظم منه جسمًا كالأنعام، وغير هذا كثير ومختلف. وإن كل ما أوجد في هذا العالم فإنما أوجده الله لأجل الإنسان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

وهم سادة مكرمون بفضل الله ونعمته، متىٰ علموا وأقاموا العبودية لله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالكون باق ببقاء التوحيد والعبودية لله رب العالمين، ويهلك وتقوم الساعة بانتهاء العبودية والتوحيد لله رب العالمين.

عن عبد الله - وهو ابن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١).

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه»، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

قال ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في «النهاية»: «وفي معنىٰ قوله ﷺ: «**حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ!**» قولان:

أحدهما: أن معناه أن أحدًا لا ينكر منكرًا، ولا يزجر أحد أحدًا إذا رآه قد تعاطىٰ منكرًا وغيره، فعبر عن ذلك بقوله: «**حَتَّىٰ لَا يُقَالَ: اللهُ! اللهُ!**»؛ كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو: «**فَيَبْقَىٰ فِيهَا عَجَاجَةٌ؛ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا**».

والقول الثاني: حتىٰ لا يذكر الله في الأرض، ولا يعرف اسمه فيها، وذلك عند فساد الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان، وهذا كما في الحديث الآخر: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وكما في الحديث الآخر: أن الشيخ الكبير يقول: أدركت الناس وهم يقولون: لا إله إلا الله، ثم يتفاقم الأمر ويتزايد الحال، حتىٰ يترك ذكر الله في الأرض، وينسىٰ بالكلية؛ فلا يعرف فيها، وأولئك الأشرار شر الناس وعليهم تقوم الساعة». انتهىٰ.

أما إذا أقام الإنسان الدين لله رب العالمين، يبقىٰ الكون ويكون في خدمة المؤمنين الموحدين لله رب العالمين.

**وإليك بعض الأمثلة والنماذج على خدمة الكون للموحدين:**

**الأرض في خدمة الموحدين:**

ففي قصة الرجل الذي قتل مائة نفس تحركت الأرض من أجله، وهو تائب واحد فكيف لو تبنا جميعًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا.**

فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ؛ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلِقْ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ! وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ -أَيْ حَكَمًا- فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» وفي رواية في الصحيح: «فَكَانَ إِلَىٰ الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا» وفي رواية في الصحيح: «فَأَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي وَإِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي». وقال: «قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إِلَىٰ هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ». وفي رواية: «فَنَأَىٰ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا» (١).

### الجبال في خدمة الموحدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠].

عن أنس قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحدًا، فرجف بهم، فضربه النبي ﷺ برجله وقال: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ». رواه أحمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم.

---

(١) البخاري ومسلم.

**الحجارة في خدمة الموحدين:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُۥ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

**الرياح في خدمة الموحدين:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: ١٢].

**الريح في نصرة الموحدين وهلاك الكافرين:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤-٢٥].

**الماء في خدمة الموحدين:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ٩-١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### النار في خدمة الموحدين:

فأمر الله النار أن تكون بردًا وسلامًا علىٰ خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٦٩].

### الشمس في خدمة الموحدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

### حبس الشمس لنبي الله يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صلىٰ الله عليه وآله وسلم:- «**غَزَا**

نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَىٰ بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَىٰ غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلادَهَا.

فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا.

فَحُبِسَتْ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ -يَعْنِي النَّارَ- لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا.

فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا؛ فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ. فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ؛ فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ.

فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «فِيكُمُ الْغُلُولُ»، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا؛ فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ الله لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَىٰ ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا»[1].

**القمر في خدمة الموحدين:**

عن عبْدِ اللهِ بْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ علىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النبي ﷺ: «**اشْهَدُوا**»[2].

معنىٰ الحديث: أن القمر انشق في زمنه ﷺ، فكان نصفين؛ نصفًا من وراء حراء، ونصفًا أمامه، ليكون معجزة له ﷺ علىٰ صدق نبوته، لأن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ كما في حديث أنس أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي.
(٣) أخرجه البخاري.

فلما وقع ذلك قال النبي ﷺ: «**اشْهَدُوا**» أي انظروا ماذا حدث؛ لأنها معجزة عظيمة[(١)].

والأمثلة علىٰ خدمة الكون للموحدين بإذن رب العالمين كثيرة ولله الحمد والمنة.

**الدعاء**

(١) شرح القسطلاني علىٰ البخاري.

# (١٤) علامات الهداية

**أما بعد:**

إن نعمة الهداية نعمة لا تعدلها نعمة، نعمة تلحقك آثارها في هذه الدنيا فتعيش سعيدًا، إذ لا سعادة بغير هداية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

وفي الآخرة يفوز العبد بالنعيم المقيم في الروضات والدرجات والنظر إلىٰ وجه الله الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

والهداية لها علامات يجب علىٰ المؤمن معرفتها، فإن كانت فيه حمد الله وسأله الثبات، وإن لم تكن فيه بادر بالتوبة والرجوع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ قبل فوات الأوان، فاليوم عمل بلا حساب، وغدًا حساب بلا عمل.

**ومن علامات الهداية:**

**التوفيق للإسلام وأن يشرح الله صدر العبد للإسلام.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

ولذلك لما زعم اليهود والنصارىٰ أنهم مهتدون وأن إبراهيم ﷺ كان علىٰ دينهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

فكان الرد علىٰ زعمهم أن إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٦- ٦٨].

**التوفيق للإيمان:**

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧].

**التوفيق للعلم النافع:**

عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

هذا الحديث من أعظم فضائل العلم، وفيه: أن العلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيرًا.

**التوفيق للعمل الصالح:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٤-١٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا اسْتَعْمَلَهُ**»، قالوا: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «**يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ**»(٢).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) متفق عليه

(٢) صحيح الترمذي.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**ومن علامات الهداية الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ على بصيرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

**ومن علامات الهداية محبة أهل الإيمان:**

وفي الحديث: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُكْتَبُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»(١).

**ومن علامات الهداية الصبر والاسترجاع عند المصائب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

**الدعاء**

---

(١) متفق عليه.

# (١٥) التقوى والإيمان

**أما بعد:**

الإيمان هو المرتبة التي يسمو إليها المسلم بعد إسلامه، ففي علو إلىٰ الارتقاء بإسلامه إلىٰ مرتبة الإيمان، فلا يقف في دينه عند عتبة العبادات الظاهرة، بل يترقىٰ في كمالات الإيمان بمقدار ما يتمثل في سلوكه من شُعَبِه التي تشمل الاعتقاد والعبادة والأخلاق، قال ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١).

وأما أركان الإيمان فهي ستة يوضحها حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان فأجاب النبي ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢).

وهكذا فأول الإيمان أن ينعقد قلب المسلم علىٰ التصديق بهذه المسائل الست، ثم يبرهن بعمله علىٰ صحة إيمانه بها، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل، ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية(٣).

**ثانيًا: التقوى:**

**قال طلق بن حبيب** رَحِمَهُ اللهُ: «التقوىٰ أن تعمل بطاعة الله علىٰ نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نور من الله تخاف عقاب الله»(٤).

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) مسلم.

(٣) تعرف علىٰ الإسلام منقذ بن محمود السقار.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (١/ ٤٠٠).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسيره لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فقال: «أن يُطاع فلا يُعصَىٰ، ويُذكر فلا يُنسَىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر»(١).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات، ومعنىٰ ذكره فلا يُنسىٰ: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها»(٢).

وذكر الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بَيَّنه قوله تعالىٰ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ﴾، وأن المعنىٰ: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم، وبيّن أن هذا أصوب من القول بالنسخ؛ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولىٰ»(٣).

فإذا التقىٰ النوران نور التقوىٰ ونور الإيمان وقتها يحصِّل العبد سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

فمن الفوائد التي يحصلها العبد في الدنيا والآخرة إذا التقت التقوىٰ مع الإيمان:

**أولًا: الإيمان والتقوى يلتقيان:**

فيعيش الناس في رغد من العيش، فقد تكفَّل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن يتقيه فيما أمره واجتناب ما نهاه عنه بأن ينجيه من كل كرب مما ضاق علىٰ الناس، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يخطر بباله، ويقنعه بما رزقه، ويبارك له في رزقه.

---

(١) أخرجه الطبراني، في «المعجم الكبير»، (٩/ ٩٢)، برقم ٨٥٠٢، والحاكم في «المستدرك»، (٢/ ٢٩٤).
(٢) جامع العلوم والحكم، (١/ ٤٠١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤/ ١٦٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ واتباع كل ما جاء علىٰ ألسنة الأنبياء والمرسلين من عمل بالأوامر واجتناب للنواهي، ومنها الأمر لأهل الكتاب باتباع ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن كتبهم قاضية بذلك، آمرة به، كل ذلك سبب في نزول بركات السماء من الأمطار الغزيرة وإخراج بركات الأرض، وسعة الرزق والأكل المتواصل منه مع وجود البركات فيه(١).

قال القرطبي: «ونظير هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢- ٣]»(٢).

## ثانيًا: الإيمان والتقوى يلتقيان:

فيعيش العبد في أمن وأمان، ويكفيه الله من شرور أعداء الإسلام، فالنصر يتحقق إذا حقق العبد التقوىٰ والإيمان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

فالولي هو كل مؤمن تقى كما بينت الآيات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣].

فالإيمان والتقوىٰ بهما يكون العبد من أولياء الرحمن، وإذا كان العبد من أولياء الرحمن فالله ينصره ويؤيده ويدافع عنه.

---

(١) جامع البيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٦٢-٤٦٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٠٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٢٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»(١).

**ثالثًا: التقوى والإيمان يلتقيان:**

فيكفر عن العبد السيئات، فيفوز العبد في الآخرة بالجنات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وهم اليهود والنصارىٰ ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله وبرسوله محمد ﷺ، فصدقوه واتبعوه وما أنزل عليه﴿واتقوا﴾ ما نهاهم الله عنه فاجتنبوه ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، يقول: محونا عنهم ذنوبهم فغطينا عليها، ولم نفضحهم بها﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، يقول: ولأدخلناهم بساتين ينعمون فيها في الآخرة(٢).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الطبري، ط دار المعارف.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### رابعًا: التقوى والإيمان يلتقيان:

فينجو العبد عند المرور علىٰ الصراط بالتقوىٰ، فقد جاء في حديث أم المؤمنين حفصة قالت للنبي ﷺ لما قال: «**لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ النَّارَ**»، أليس الله تعالىٰ يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فقال لها: «أليس الله يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم: ٧٢]»[1].

### والإيمان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

### أما أهل النفاق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣].

يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، والحال أن نورهم يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم يقولون لهم: انظرونا لعلنا نقتبس من نوركم، ونستضيء به، وذلك

(١) رواه مسلم.

أنه روىٰ أنه يعطىٰ المؤمنون النور يوم القيامة علىٰ قدر أعمالهم يمشون به علىٰ الصراط المستقيم، ويستضيء المنافقون بنورهم ولا يعطون النور، فبينما هم يمشون علىٰ نورهم- كما كانوا يسيرون ظاهرًا معهم في الدنيا- إذ يبعث الله فيهم ريحًا وظلمة فيطفئ بذلك نور المنافقين، ويقول المؤمنون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم: ٨].

يخافون أن يُسلبوا النور كما سلب من المنافقين، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواقع أقدامهم قالوا للمؤمنين: انتظرونا نقتبس من نوركم. ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد:١٣] والقائل هم الملائكة أو المؤمنون، فلما رجعوا وانصرفوا يطلبون النور ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور ضخم باطنه فيه الرحمة؛ لأنه جهة الجنة التي فيها المؤمنون، وظاهره أي: جانبه مما يلي المنافقين من قِبَلِه العذاب. ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم نصلي ونصوم ونحارب معكم؟ قالوا: بلىٰ! ولكنكم فتنتم أنفسكم وامتحنتموها بالنفاق واستعملتموها في الفتنة وغركم بالله الغرور.

**الدعاء.**

# (١٦) أنواع المودة

**أما بعد:**

ﷻ هو الذي جمع قلوب المؤمنين علىٰ المودة، وجعلهم في توادهم كالجسد الواحد، ومن علامات الإيمان: مودة بعضهم لبعض، وهو ﷻ الذي ألف بين قلوبهم بإيمانهم به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

فهو سبحانه الذي يغرس لعباده المؤمنين، الذين يعملون الصالحات؛ وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وأن هذه المحبة حاصلة لهم في الدنيا، وهذا هو قول أغلب المفسرين، ويستدلون له بقوله ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ، نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»[1].

**والمودة نوعان:**

**أولًا: مودة محمودة ومنها: المودة بين الزوجين:**

وهي من أعظم مقاصد النكاح في شرع الله ﷻ أن تسود المودة والرحمة بين

(١) رواه البخاري.

الزوجين، وعلىٰ هذا الأساس ينبغي أن تبنىٰ الحياة الزوجية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

**ويقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تفسير القرآن العظيم»:**

ومن آياته - سبحانه - الدالة علىٰ عظمته وكمال قدرته أنْ خلقَ لكم من جنسكم إناثًا تكون لكم أزواجًا؛ لتسكنوا إليها، ولو أنه - تعالىٰ - جعل بني آدم كلَّهم ذكورًا، وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم؛ إما من جنٍّ أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهنَّ مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة، فإنّ الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو الرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما وغير ذلك.

**ثانيًا: المودة المذمومة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥].

عن قتادة قال: صارت كل خلة في الدنيا عداوة علىٰ أهلها يوم القيامة إلا خلة المتقين. «الطبري» [١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ

(١) طبعة دار المعارف.

كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ [الممتحنة: ١].

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، فقال: «**انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا فَتَأْتُونِي بِهِ**» فخرجنا حتىٰ أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال: «**مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟**» قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ يدًا ويحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضا بالكفر، فقال النبي ﷺ: «**صَدَقَ**» وفيه أنزلت هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) متفق عليه.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبة فسألت النبي ﷺ: «أأصلها؟» قال: «نَعَمْ» فأنزل الله فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ ...﴾.

وأخرج أحمد والبزار والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة علىٰ ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت علىٰ ابنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبلها منها أو تدخلها منزلها حتىٰ أرسلت إلىٰ عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها، فأنزل الله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨][(١)].

يقول د. محمد بن عبد الرحمن العريفي: من الناس من يخلط بين البر والمودة مع غير المسلمين، فتجد البعض يقول: لا مانع من اتخاذ النصارىٰ واليهود أولياء من دون المؤمنين ضاربين بنهي الله جل وعلا عرض الحائط أو جاهلين بحكم الله عَزَّوَجَلَّ.

تعالوا بنا نفرق بينهما حتىٰ لا نجامل علىٰ حساب ديننا ولا نظلم أيضًا غيرنا.

البر يتمثل في فعل أيٍّ من أصناف الخير كإهداء الطعام أو الإقراض أو زيارة المريض ونحو ذلك.

أما المودة فتتعلق بعمل القلب من الحب والإعجاب بما عليه الشخص غير

---

(١) أخرجه البخاري.

المسلم أو تشجيعه علىٰ ما يعتقد من الكفر والضلال، وقد فُسرت في قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٩].

**فالموالاة هي الحب والنصرة لهم.**

**البر هو المعاملة الطيبة لهم دون ظلم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

فأباح الله لنا البر والقسط لهم، ونهانا الله في أول السورة عن المودة لهم وهي محبة القلب وتأييدهم لكفرهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: ٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رده علىٰ احتجاج النصارىٰ بهذه الآية، وزعمهم أن القرآن مدحهم:

«**وَالْجَوَابُ: أَنْ يُقَالَ: تَمَامُ الْكَلَامِ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٣-٨٥]؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِدْ

بالثَّوَاب فِي الْآخِرَةِ إِلا لِهَؤُلاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ...، وَالشَّاهِدُونَ هُمُ الَّذِينَ شَهِدُوا لَهُ بِالرِّسَالَةِ، فَشَهِدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ...

وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَغَيْرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣]: قَالَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ.

وَكُلُّ مَنْ شَهِدَ لِلرُّسُل بالتَّصْدِيقِ، فَهُوَ مِنَ الشَّاهِدِينَ كَمَا قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]؛ فَهُوَ كَمَا أَخبَرَ ﷻ ؛ فَإِنَّ عَدَاوَةَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَشَدُّ مِنْ عَدَاوَةِ النَّصَارَىٰ، وَالنَّصَارَىٰ أَقْرَبُ مَوَدَّةً لَهُمْ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْيَهُودِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ فِيهِمْ مِنَ الْبُغْضِ وَالْحَسَدِ وَالْعَدَاوَةِ مَا لَيْسَ فِي النَّصَارَىٰ، وَفِي النَّصَارَىٰ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَوَدَّةِ مَا لَيْسَ فِي الْيَهُودِ.

وَالْعَدَاوَةُ أَصْلُهَا الْبُغْضُ؛ فَالْيَهُودُ كَانُوا يُبْغِضُونَ أَنْبِيَاءَهُمْ، فَكَيْفَ بِبُغْضِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا النَّصَارَىٰ: فَلَيْسَ فِي الدِّينِ الَّذِي يَدِينُونَ بِهِ عَدَاوَةٌ وَلا بُغْضٌ لأَعْدَاءِ اللهِ الَّذِينَ حَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَسَعَوْا فِي الأَرْضِ فَسَادًا، فَكَيْفَ بِعَدَاوَتِهِمْ وَبُغْضِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَدِلِينَ أَهْلِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، الْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ؟

وَلَيْسَ فِي هَذَا مَدْحٌ لِلنَّصَارَىٰ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، وَلا وَعْدٌ لَهُمْ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ، وَاسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ مَوَدَّةً، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢﴾ [المائدة: ٨٢]؛ أَيْ بِسَبَبِ هَؤُلاءِ،

وَسَبَبِ تَرْكِ الِاسْتِكْبَارِ: يَصِيرُ فِيهِمْ مِنَ الْمَوَدَّةِ مَا يُصَيِّرُهُمْ بِذَلِكَ خَيْرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَقْرَبَ مَوَدَّةً مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

فَهَؤُلاءِ الَّذِينَ مَدَحَهُمْ بِالإِيمَانِ وَوَعَدَهُمْ بِثَوَابِ الآخِرَةِ، وَالضَّمِيرُ وَإِنْ عَادَ إِلَىٰ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَالْمُرَادُ جِنْسُ الْمُتَقَدِّمِينَ، لا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ...» انتهىٰ باختصار(١).

**الدعاء**

(١) من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ١٠٧-١١١).

# (١٧) النبأ العظيم

**أما بعد:**

فالنصر عقبىٰ الصابرين، والعاقبة للمتقين، وإنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين، ولا يضيع سبحانه أجر المحسنين، والناظر سيجد تدبير الكفرة تدميرهم، وكيدهم يرتد إلىٰ نحورهم، وعلىٰ الباغي تدور الدوائر، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر بئرًا لأخيه سقط فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧].

يقول الشيخ سعيد عبد العظيم في مقال بعنوان: «لكل نبأ مستقر»: وقد وردت الأنباء علىٰ أنواع عدة منها.

**أولًا: النبأ العظيم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ: ١-٢].

**القرآن:**

بدليل قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: ٦٧-٦٨]. إنه البعث، بدليل الآتي بعدها: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١٧][(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٢-١٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: ٩٩].

---

(١) ابن كثير والقرطبي.

**ثانيًا أنباء الغيب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

**ثالثًا: أنباء القرى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود: ١٠٠].

**رابعًا: أنباء الرسل:**

لو أوكل الله البشرية إلىٰ عقولها لضلت. ولما كان الله سبحانه أرحم بعبيده من عبيده بأنفسهم اجتبىٰ من البشر رسلًا وأنبياء يبلغون وحيه إلىٰ الناس ويعطون الصورة العملية للالتزام، فهم القدوة والمثل.

**وحدثنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن الأنبياء والرسل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ [يونس: ٧١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الشعراء: ٦٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١﴾ [ص: ٢١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣﴾ [القصص: ٣].

**خامسًا: النبأ اليقين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٢].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**سادسًا: أنباء الفاسقين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ

عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

قال رسول الله ﷺ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(١).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(٢).

قَالَ النَّوَوِيُّ: «فَإِنَّهُ يَسْمَع فِي الْعَادَة الصِّدْق وَالْكَذِب فَإِذَا حَدَّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ فَقَدْ كَذَبَ لِإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ، وَالْكَذِب الإِخْبَار عَنِ الشَّيْء بِخِلافِ مَا هُوَ وَلا يُشْتَرَط فِيهِ التَّعَمُّد».

**أنباء الكافرين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التغابن: ٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة: ٧٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم: ٩].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٢٠٢٥.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾ [الأنعام: ٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ [الشعراء: ٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [النجم: ٣٣ – ٣٨].

**الدعاء**

# (١٨) الذكرى

**أما بعد:**

من علامة سعادة العبد في الدنيا والآخرة أن يؤثر مراد الله – تعالىٰ –، ويسعىٰ لطاعته ورضاه، فإذا آثر العبد الآخرة علىٰ الدنيا، وكان من أهل الآخرة يطلبها طلبًا حثيثًا، ويبذل فيها نفائس أنفاسه وزهرة حياته كل يوم يزيده قُربًا، وكلما ازداد قُربًا ازداد حُبًّا، وكلما ازداد حُبًّا ازداد زُهدًا، يومه خير من أمسه، وغدُهُ أفضل من يومه، فهو دائم الفكر في الآخرة مشغول بما يقربه ويؤدبه ويهذبه، فإذا رآه الله عَزَّوَجَلَّ مؤثرًا لمراده، محبًّا لما يحبه ويرضاه، مبغضًا لما يبغضه ويأباه، عطف عليه ربه، ورباه أفضل مما يربي الوالد الشفيق ولده الوحيد، فيصرف عنه السوء والفحشاء، كما قال تعالىٰ في حق يوسف عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وييسر الله عَزَّوَجَلَّ له أسباب الهداية كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

فإذا أقبل العبد بقلبه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أقبلت عليه وفود الخيرات من كل جانب، وإذا أعرض عن مولاه واتبع هواه، أقبلت عليه سحائب البلاء والشر من كل جانب.

والعبد في طريقه إلىٰ مولاه يحتاج دائمًا إلىٰ التذكير بالآخرة، ومعرفة شرف الطاعات وفضائلها، وقبح المعاصي ومثالبها.

**ذكرى للمؤمنين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥](١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٦ – ٣٧].

انظر يا محمد في مصارع الأمم التي خلت، قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط كما ذكر في أول السورة، وغيرهم من الأمم، هل نفعتهم قوتهم، وتنقيبهم في البلاد، ونحتهم الجبال، وشقهم الأرض؟.. ﴿**هَلْ مِن مَّحِيصٍ**﴾ هل كان لهم ملجأٌ ومهربٌ من قضائنا وعقوبتنا؟

إن في مصارع الغابرين ذكرىٰ، لمن كان له قلب أي كان حي القلب، لأن من لم تحركه هذه الآيات فقلبه ميت وإن كان يمشي بين الأحياء.

(**أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ**)، أي تدبر هذه الآيات بإنصات ووعي، فيتأثر قلبه.

(**ذكرىٰ للذاكرين**) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤].

عن ابن مسعود أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتىٰ النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ فقال

(١) الشيخ أحمد فريد – حفظه الله تعالىٰ – في مقدمة كتاب «البحر الرائق في الزهد والرقائق».

الرجل: يا رسول الله، ألي هذا؟ قال: «**لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**»(١).

## ذكرى لمن أناب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٨].

والإنابة هي الرجوع إلىٰ الله؛ بعمل الطاعات وترك الغفلة والمعاصي، وهي منزلةٌ أعلىٰ من التوبة، فالإنابة مع ترك الغفلة والمعاصي تدلُّ علىٰ ذلك؛ وتدلُّ علىٰ الإقبال علىٰ الله بالعبادات والرجوع علىٰ الله والإنابةُ إليه عبادة عظيمة من سُنَنِ الأنبياء والمرسَلين، قال جلَّ وعلا عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [ص: ٢٤].

وقال عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ عن خليله إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

وقال شُعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ بِهِ**

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣)، وأحمد (١٣٨٥)، وأهل السنن إلا أبا داود.

بَلَاؤُهُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعْلَمُ وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفُ مَا بِهِ.

فَلَمَّا رَاحَا إِلَىٰ أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّىٰ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: «لَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ غَيْرَ أَنَّ اللهَ – تَعَالَىٰ – يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللهَ، فَأَرْجِعُ إِلَىٰ بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ. وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَىٰ حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَىٰ حَاجَتَهُ أَمْسَكَتْهُ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، وَأُوحِيَ إِلَىٰ أَيُّوبَ أَنِ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص: ٤٢].

فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ – وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ –، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَىٰ؟ وَاللهِ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا. فَقَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ. وَكَانَ لَه أَنْدَرَانِ (أَيْ بَيْدَرَانِ): أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّىٰ فَاضَ، وأَفْرَغَتْ الْأُخْرَىٰ فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّىٰ فَاضَ»[١].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في (مسنده) وأبو نعيم في (الحلية) وصححه الألباني.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٣].

خص الله تعالى أولي الألباب بخطابه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، مشيرًا إلى أنهم يدركون مضمون هذه الآيات بعقولهم الراجحة، وأذهانهم المتوقدة النابهة، يعاملون الخلق بمقتضى ما أمرهم خالقهم، فصفاتهم سجايا ناصعة، وقيم شامخة، قال الله عز وجل في وصفهم: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ١٩ – ٢٠].

فهم يميزون بين الحق والباطل، يعلمون أن ما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ هو الحق المبين، وأن اتباعه هو السلوك القويم، والصراط المستقيم، كما أنهم يوفون بعهدهم إذا عاهدوا، فهم يوفون بما أمر الله سبحانه به، ولا يخالفون ما عاهدوا الله عليه.

**الدعاء**

# (١٩) الوعد والوعيد

**أما بعد:**

كل وعد يقطعه صاحبه فلا بد لوقوعه من الصدق والقدرة؛ فالعاجز لا يفي بما وعد، والكاذب يخلف الوعد. وأصدق الوعد وأنجزه وعد الله تعالىٰ؛ لأن الله تعالىٰ لا يعجزه شيء؛ وهو منزه عن الكذب، فلا يخلف ما وعد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾ [الذاريات: ٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ [المرسلات: ٧].

**فوعد الله حق:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧].

**وعد الله صدق:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

ولذا قال تعالىٰ عن وعده بالانتقام من ثمود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

**ووعد الله لا يخلف أبدًا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦].

**ووعد الله مفعولًا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨].

**الوعد بالكذب والتمني:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

لقد كان طرد إبليس من الجنة وهبوطه إلىٰ الأرض ومفارقة الحياة الملائكية في جوار رب البرية سببًا من أسباب عداوته للإنسانية، وحقده عليه وحربه لبني آدم، فما إن حَكَمَ الله تعالىٰ علىٰ إبليس بالطرد والإبعاد من الجنة حتىٰ طلب من الله أن يُنْظِرَهُ إلىٰ يوم البعث والنشور، فلمَّا تحقَّق له وعد الله تعالىٰ بإنظاره إلىٰ يوم القيامة أخذ يعد ويمني هذا الإنسان بالغواية والإضلال؛ لأنه يرىٰ أن هذا الإنسان هو السبب الرئيسي في طرده من الجنة وهبوطه إلىٰ الأرض، فأخذ عزمًا موثَّقًا وعهدًا مؤكَّدًا أن

يجتهد كل الاجتهاد في صرف بني آدم عن دخول تلك الجنة.

**ولذا يقول تعالى عن أتباعه في يوم القيامة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٤ – ١٥].

**الوعد بالفقر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

**الوعد بالمغفرة والفضل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

**الوعيد بالهلاك والانتقام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ – ٢٠٩].

فالله – تبارك وتعالىٰ – يملي للظالمين حتىٰ يأمنوا، ويولي بعضهم بعضًا ليفرحوا، ويمدهم في طغيانهم ليعمهوا، ثم يديل عليهم فيُهزموا، وما من ظالم إلا وقد

حاك أسباب هلاكه بيديه، ومشىٰ إلىٰ حتفه برجليه؛ قَدَرًا من العليم القدير؛ ليوقعه في شر أفعاله، فيبكي ندمًا علىٰ حياته وأعماله، ولات حين مندم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

**الوعد بالاستخلاف والتمكين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

**الوعد بالبعث:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

**لو صدقوا الوعد لأحسنوا العمل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.**

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### الوعد بالنار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨].

### الوعد بالجنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

عن مجاهد وقتادة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: الجنة[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّىۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

---

(١) تفسير الطبري.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان: ١٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللهُ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ – يَعْنِي: إِلَيْهِ – وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ**»(١).

---

(١) رواه مسلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

**الدعاء**

# (٢٠) البصائر

**أما بعد:**

البصائر جمع بصيرة والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به، كما أن البصر نور العين الذي يبصر به، أي أن البصيرة هي النافع نورها في منافع الدارين[(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقد عرَّف البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ البصيرة فقال :والبصيرة: هي المعرفة التي تُميِّز بها بين الحق والباطل»[(٢)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] أي: علىٰ يقين وحق»[(٣)].

وقال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: علىٰ معرفة وتحقيق[(٤)].

وبين ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ البصيرة بأنها: «هي الحجة الواضحة»[(٥)].

فكم من رجل أعمىٰ العينين ولكن قلبه مُبصر، فهو بقلبه أهدىٰ العقلاء، وكم من مفتَّح العينين ولكنه أعمىٰ القلب؛ فهو أضل من الأنعام والبهائم.

---

(١) «الكشاف» (١/ ٣٧٣).

(٢) «معالم التنزيل» (٤/ ٢٨٤).

(٣) «أحكام القرآن»(٩/ ١٧٩).

(٤) «مفردات القرآن» (ص١٢٧).

(٥) «التحرير والتنوير» (٧/ ٦٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

لا تعمىٰ الأبصار، فإذا ذهب بصر الإنسان فقلبه يكفيه في الاستدلال علىٰ الخير والهدىٰ والرشاد، ولكن الذي يعمىٰ هي القلوب، ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور، يعميها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا بالإنسان لا يتدبر ولا يعي ولا يفهم شيئًا مما حوله ولا يعتبر.

العمىٰ في الآية ليس عمىٰ العين، العمىٰ عمىٰ القلب، عمىٰ البصيرة، فالعمىٰ نوعان: عمىٰ البصر وعمىٰ القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

يعني من كان أعمىٰ في هذه الدنيا، والمراد عمىٰ القلب أي: في الآخرة يكون أشد عمىٰ والوحي هو مصدر البصائر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

فكما أن العين لا ترىٰ الأشياء إلا في النور، فهكذا القلب لا يبصر ولا يهتدي ولا يرىٰ الأشياء علىٰ حقيقتها إلا بنور الوحي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

البصيرة في الدين من رُزِقَهَا فإنه يسير علىٰ هدىً من ربه، لا تختلط عليه الأمور، ولا تتشابه، فكما أنَّنا لا نستطيع أن نبصر في الظُّلمة، فكذلك إذا فقدنا البصيرة فإنَّما نقع في التشخيص الخاطئ، ويصيبنا التيه عند الفتن والتخبط في السير إلىٰ الله، فهذا هو الفرق بين صاحب البصيرة، وبين من طمست عنده البصيرة؛ فالأوَّل لديه القدرة علىٰ التمييز بين ما هو مستقيم وما هو منحرف، وما هو عدل وما هو ظلم، وما هو حق وما هو باطل، فالخير منه مأمول.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

**فصاحب البصيرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

مثل نوره في قلب عبده المؤمن، يعني نور الله الذي يقذفه في قلب عبده المؤمن، ويكون هذا بالدلائل من الكتاب والسنة، وبالاتباع والإخلاص يكون النور في قلب العبد، وهذا يرجح التشبيه بالمشكاة، فالمشكاة وعاء فيها هذا النور، والقلب وعاء

فيه هذا النور الذي يقذفه الله جل وعلا[(١)].

لذلك فنور البصيرة جعل المؤمنين قلوبهم معلقة بالمساجد، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٧].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**أما من فقد البصيرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩ – ٤٠].

وهذا الوليد بن المغيرة الذي ظل يفكر في شأن القرآن الكريم فبدلًا من أن يقر

(١) «التعليق علىٰ تفسير القرطبي» عبد الكريم الخضير.

بأنه كلام رب العالمين، طُمِسَتْ عنده البصيرة فادعىٰ أنه سحر، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاء الوليد بن المغيرة إلىٰ النبي ﷺ فسمع منه القرآن، فلما عاد إلىٰ قومه، قال أبو جهل: إن الوليد قد جاءكم بوجه غير الوجه الذي ذهب به. فسألوه عما سمع، فقال لهم: والله لقد سمعت كلامًا ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ولا هو بالكهانة، فأنا من أخبركم بذلك، والله إن له لحلاوة، وعليه لطلاوة - وهي البهجة والنور والسرور - وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه يحطم ما تحته، ويعلو ولا يعلىٰ عليه، وما هو من كلام البشر. فقال أبو جهل: إنك أتيت محمدًا لتصيب من طعامه. قال: لقد علمت قريش أنني من أغناهم. قال له أبو جهل: لن يقنع قومك منك حتىٰ تقول في هذا القرآن شيئًا يرضون به عنك. ثم فكر فقال: هذا سحر يأثره محمد عن من سبقه. فأنزل الله فيه صدر سورة المدثر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ
وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ
إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر: ١١-٣٠] (١).

**الدعاء**

---

(١) مستدرك الحاكم بسندٍ صحيح علىٰ شرط البخاري، وأقره عليه الذهبي، والحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة، ورواه الإمام ابن جرير وابن مردويه في تفسيره.

# (٢١) عبادة التفكر

## أما بعد:

أمر الله عَزَّوَجَلَّ عباده المؤمنين بالتفكر في عظيم مخلوقاته، ونعمه عليهم، وأن ينظروا فيما حولهم من مخلوقات تتحدث كلها عن عظمة من خلقها وصنعها وأبدعها، فجاءت في أحسن صورة وأتمها وأكملها.

## التفكر في آيات الله من صفات أولي الألباب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

## أهل الكفر لا يتفكرون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

## آيات الكون:

عندما يجول الإنسان بفكره في هذه الآيات التي تكشف أسرار هذا الكون الفسيح، فتنطلق شهادة من داخل الإنسان تقر بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحد لا شريك له.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨ – ٦٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٠ – ١١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢١].

**آيات الكتاب العزيز:**

آيات الكتاب نص حكيم محكم سهل قاطع تقبله العقول وتنشرح به الصدور، وتعلو به الهمم، وتدين به الأمم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### أحاديث في التفكر:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]».

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[١].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**»[٢].

**الدعاء**

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني.

# (٢٢) العبرة

**أما بعد:**

هذه الدار التي سماها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متاع الغرور فحياتها عناء ونعيمها ابتلاء وملكها فناء، العمر فيها قصير والخطر المحدق كبير والمرء فيها بين حالين: حال قد مضىٰ وسُطر وانقضىٰ وأجل قد بقي لا ندري ما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قاض لنا فيه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ لنا أخبار الماضين من المؤمنين والكافرين، وكيف داول الله تعالىٰ بينهم الأيام، ونفذ فيهم ما قدره بحكمة وإحكام وتبصرة للمؤمنين وأظهر الإسلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

واتفق المفسرون علىٰ أن بني النضير كانوا قد صالحوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ألَّا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر يوم بدر قالوا: هو النبي الذي نعته في التوراة، لا ترد له راية، فلما هُزِمَ المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبًا إلىٰ مكة، فحالفوا عليه قريشًا عند الكعبة، فأخبر جبريل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فأمر

بقتل كعب، فقتله محمد بن مسلمة غيلة، وكان أخاه من الرضاعة، وكان النبي ﷺ قد اطلع منهم علىٰ خيانة حين أتاهم في دية المسلمين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري منصرفة من بئر معونة، فهموا بطرح الحجر عليه ﷺ فعصمه الله تعالىٰ.

ولما قتل كعب أمر ﷺ بالمسيرة إليهم، وطالبوا بالخروج من المدينة، فاستمهلوه عشرة أيام؛ ليتجهزوا للخروج، ولكن أرسل إليهم عبد الله بن أُبي سرًّا: لا تخرجوا من الحصن، ووعدهم بنصرهم بألفي مقاتل من قومه، ومساعدة بني قريظة وحلفائهم من غطفان، أو الخروج معهم، فدربوا أنفسهم، وامتنعوا بالتحصينات الداخلية، فحاصرهم ﷺ إحدىٰ وعشرين ليلة.

وقيل: أجمعوا علىٰ الغدر برسول الله ﷺ فقالوا له: اخرج في ثلاثين من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثون منا؛ ليسمعوا منك، فإن صدقوا آمنا كلنا ففعل، فقالوا: كيف نفهم ونحن ستون؟ اخرج في ثلاثة، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا ففعلوا فاشتملوا علىٰ الخناجر، وأرادوا الفتك فأرسلت امرأة منهم ناصحة إلىٰ أخيها، وكان مسلمًا فأخبرته بما أرادوا، فأسرع إلىٰ الرسول ﷺ، فساره بخبرهم قبل أن يصل ﷺ إليهم، فلما كان من الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم إحدىٰ وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وآيسوا من نصر المنافقين الذين وعدهم به ابن أبي، فطلبوا الصلح فأبىٰ عليهم ﷺ إلا الجلاء، علىٰ أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات علىٰ بعير ما شاءوا من المتاع إلا الحلقة، فكانوا يحملون كل ما استطاعوا ولو أبواب المنازل، يخربون بيوتهم ويحملون ما استطاعوا معهم (١).

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

إن في ذلك لَمُعتبَرًا لمن له بصيرة وفَهْم، يهتدي به إلىٰ حكم الله وأفعاله، وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد(١).

## وأخذ المكذبين عبرة لمن يخشى:

قال تعالىٰ عن فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٤ - ٢٦] أي: لمن يتعظ وينزجر(٢).

فيعتبر أهل الإيمان بنصرة الله للمؤمنين وانتقام الله من الكافرين المعاندين، فمهما انتشر الظلم وتفاقم الشرّ وتراقىٰ الخطر والضرّ فإن ما قُضي كائن، وما شاء الله كان، لا رافع لما وضع، ولا واضع لما رفع، ولا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، وما شاء ربُّنا صنع، فلا جزع ولا هلع، وإنما صبرٌ ومصابرة، وفأل بأنَّ لأهل الإسلام السلطة والانتصار، وللظالمين الذلّة والصغار.

عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(٣).

وأيضًا يعتبر المؤمنين الذين وصفهم الله بأنهم أولي الأبصار بإنزال المطر والبَرَد، وتقليب الليل والنهار، ويعلم المؤمن أن في هذه الآيات دليلًا علىٰ عظمة الله وقدرته.

---

(١) ابن كثير.

(٢) المرجع السابق.

(٣) البخاري (٦/ ٩٨ - الجهاد والسير - الفتح) باب ما قيل في الرماح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

ويعتبر أهل الإيمان بما في الأنعام التي سخرها الله لهم وجعلها آية ودلالة علىٰ قدرته، وحكمته، ولطفه، ورحمته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١].

**الدعاء**

# (٢٣) السكينة

**أما بعد:**

يدل كل موضوع ورد فيه لفظ «سكن» في القرآن الكريم علىٰ أمر هو علىٰ خلاف الاضطراب والحركة، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، أي اتخذها مسكنًا، وخصت الجنة بالسكن في تلك الآية وغيرها، لأن الجنة يعمها السكون أكثر مما تعمها الحركة.

وأيضًا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣]، بمعنىٰ هدأ واستقر، والمراد سكن وما تحرك، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [النمل: ٨٦]، فكلها بمعنىٰ السكون، وهو الهدوء والبعد عن الاضطراب وما هو في دلالته تلك، ولا يخرج عما قلنا قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾[البقرة: ١٨٤]، والمسكين هو الذي أسكنته الحاجة وأذلته، وسمي بذلك لقلة تصرفه وحركته.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]، والمسكنة الخضوع، وهي بدورها مأخوذة من السكون. أي قلة الحركة بسبب الفقر، أو ما هو في مقامه في القوة علىٰ تقليل الحركة.

**قال ابن القيم في «منازل السالكين»:**

**وقد ذكر الله تعالى السكينة في كتابه في ستة مواضع:**

**الأول:** قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ

ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

**الثاني:** قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

**الثالث:** قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[١].

**الرابع:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

**الخامس:** قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

**السادس:** قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وقد جربت أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته. وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إنزالها علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة إذ هو وصاحبه

(١) متفق عليه.

في الغار والعدو فوق رؤوسهما لو نظر أحدهم إلىٰ ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين إذ ولّو مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم علىٰ أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار ودخولهم تحت شروطهم التي تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر عن حملها وهو عمر حتىٰ ثبته الله بالصديق.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عز وجل إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

قوله ﷺ: «**وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ**». فالسكينة شيء يقذفه الله عز وجل في القلب فيطمئن ويوقن ويستقر، ولا يكون عنده قلق ولا شك ولا ارتياب، وهذه من أكبر نعم الله علىٰ العبد أن ينزل السكينة في قلبه بحيث يكون مطمئنًّا غير قلق ولا شاك راضيًا بقضاء الله وقدره إن أصابته ضراء صبر وانتظر الأجر من الله، وإن أصابته سراء شكر وحمد الله علىٰ ذلك مطمئن مستقر مستريح.

### الدعاء

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء...، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، (الحديث: ٣٩٩).

# (٢٤) السبيل

**أما بعد:**

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له الحِكْمة العظيمة فيما شَرع، وله الحُجَّة البالغة فيما أمرَ، فهدَىٰ مَن شاء بِرَحمته، وأضلَّ من شاء بِعَدْله، ولو شاء سبحانه لهدىٰ العباد أجمعين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

**ولفظ (السبيل) ورد في القرآن الكريم على عدة معان، نذكر منها:**

(**السبيل**) بمعني (طاعة الله):

وهو كثير في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] يعني: قاتلوا طاعة الذين يقاتلونكم.

ومنه أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] أي: أنفقوا أموالكم في طاعة.

**و(السبيل) بمعنى (القدرة والطاقة):**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

**وورد السبيل في القرآن بمعنى المخرج:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

**وورد السبيل بمعنى الطريق:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

**وورد السبيل في القرآن بمعنى دين الإسلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

**وورد السبيل في القرآن بمعنى الحجة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

**وورد السبيل في القرآن بمعنى العقوبة والمؤاخذة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

**وورد السبيل في القرآن بمعنى الملة والمذهب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

**الدعاء**

# (٢٥) المعروف

**أما بعد:**

لقد جعل الله ﷻ هذه الأمة، أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، وذكر من أسباب هذه الخيرية أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

عن مجاهد في قول الله ﷿: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، يقول: علىٰ هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله(١).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب فلاح هذه الأمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ووصف الله أهل الإيمان وبين أن من فواصل التفرقة بينهم وبين المنافقين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) «تفسير القرطبي».

وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

**أما المنافقون فهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

**ومن صفات النبي ﷺ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

**وفي أحكام اليتامى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء: ٦].

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أنها «أنزلت في والي مال اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجًا أن يأكل منه»(١).

---

(١) متفق عليه.

فإن الله ﷻ أكد النهي عن أكل مال اليتيم ظلمًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

وبين وعيد من يأكل أموال اليتامىٰ، وحدد نوع الجزاء والعقاب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**»(١).

**الموبقات:** المهلكات.

## وفي الصدقات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

يمدح تعالىٰ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منًّا علىٰ من أعطوه، فلا يمنون علىٰ أحد، ولا يمنون به لا بقول ولا فعل(٢).

(١) متفق عليه.
(٢) ابن كثير.

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(١).

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.**

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**وفي حقوق النساء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ابن عباس: الدرجة إشارة إلىٰ حض الرجال علىٰ حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل علىٰ نفسه.

قال ابن عطية: وهذا قول حسن بارع. قال الماوردي: يحتمل أنها في حقوق النكاح، له رفع العقد دونها، ويلزمها إجابته إلىٰ الفراش، ولا يلزمه إجابتها.

قلت: ومن هذا قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح البخاري ومسلم.

**وقد أمر بالمعاشرة بالمعروف:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

قال معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله! ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تُقَبِّحَ الْوَجْهَ، وَلَا تَضْرِبَ، وَلَا تَهْجُرُ إِلَّا فِي الْبَيْتِ، كَيْفَ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؛ إِلَّا بِمَا حَلَّ عَلَيْهِنَّ**»(١).

**وقد أمر الله بالإمساك بالمعروف:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

**وفي آداب التخاطب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: دغل. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير، ومعنىٰ هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

**الدعاء**

---

(١) أبو داود والحاكم وأحمد بسند حسن.

# (٢٦) وما جعل عليكم في الدين من حرج

**أما بعد:**

فقد رفع الله عَزَّوَجَلَّ الحرج عن أمة محمد ﷺ، وشرع لنا دينًا قويمًا، فمن أبرز ما يتصف به ديننا الإسلامي اليسر والسهولة من غير تكلف أو تعنت.

وذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم آيات كثيرة في هذا الصدد منها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

فهذه الآيات وغيرها تحمل معاني اليسر في أمور الدين، وعدم التنطع والتشدد في العبادات والطاعات.

والمتأمل سُنَّةَ النبي -عليه الصلاة والسلام- يجد أن من أهم ما تميَّز به دين الإسلام: السماحة واليسر.

**ومن هذه الأحاديث:**

قال ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: «**مَا لَكَ؟**». قال: وقعت علىٰ امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟**»، قال: لا. قال: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟**». قال: لا. فقال: «**فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟**». قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن علىٰ ذلك، أتىٰ النبي ﷺ بعَرَق فيها تمر -والعَرَق: المِكْتل- قال: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**»، فقال: أنا. قال: «**خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهَا**»، فقال

---

(١) البخاري.

الرجل: أعلىٰ أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها -يريد: الحرتين- أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت أنيابه، ثم قال: «**أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**»، رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**أمثلة على اليسر في ديننا الإسلامي العظيم:**

**١-عند عدم الماء، أو تعذر استعماله، أباح لنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نتيمم بالتراب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٥].

**٢- وفي الصلاة:**

وقال ﷺ لعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**»(١).

(١) البخاري.

٣- وفي الصيام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

**الدعاء**

# (٢٧) أنواع الظن

**أما بعد:**

حسن الظن بالناس خلق إسلامي أصيل، أرشدنا إليه القرآن الكريم، وتعلمناه من رسولنا ﷺ، وشيوع هذا الخلق بين الناس يحمي المجتمع من مصائب كثيرة، وقد ورد الظن في القرآن علىٰ وجوه متعددة، منها ما هو محمود.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨].

والظن في هذه الآيات بمعنىٰ اليقين، وحثنا النبي ﷺ علىٰ حسن الظن في الله ﷻ، فعن جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**»(١).

وقال ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**». قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع، وهو في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة دون قوله: «**فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**».

**وقد نهانا الله ﷻ عن سوء الظن:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب

(١) مسلم (٤/ ٢٢٠٥).

بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ينهى الله عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التُّهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثيرًا منه احتياطًا(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»(٢).

**وسوء الظن هذا من الظن المذموم:**

**ومنه ما يأتي بمعنى الشك:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

**ومن الظن المذموم: ظن الجاهلية:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا

---

(١) ابن كثير.

(٢) متفق عليه.

هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

عن ابن عباس في قوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ ﴾ يعني: التكذيب بالقدر، وذلك أنهم تكلموا فيه، فقال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ ﴾ يعني: القدر خيره وشره من الله(١).

**ويأتي الظن بمعنى الحسبان:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٠].

أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر؟ كلا، بل يصليهم سعيرًا خالدين فيها أبدًا(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [الجن: ٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

**ويأتي الظن بمعنى الاعتقاد الخطأ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا

---

(١) القرطبي، دار الفكر.

(٢) الطبري، دار المعارف.

وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢١، ٢٣].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فضحك، فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**»، قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»(١).

**الدعاء**

---

(١) صحيح مسلم.

# (٢٨) حسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ

إن الله تعالىٰ مدح الذين أحسنوا الظن به، وأثابهم، وذم الذين أساءوا الظن به، فقال الله عنهم: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ومن سوء الظن بالله تعالىٰ: أن يظن المرء أن الله يسوي بين المؤمن والكافر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ، ٣٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وحسن الظن من العبادات القلبية التي طالما غفل عنها كثير من المسلمين، قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

**قال أبو سليمان الخطابي**: «إنما يحسن بالله الظن مَنْ حسن عمله، فكأنه قال: أحسنوا أعمالكم، يحسن ظنكم بالله، فإن من ساء عمله، ساء ظنه، وقد يكون أيضًا حسن الظن بالله من ناحية الرجاء، وتأميل العفو، والله جواد كريم»(٢).

**وقال النووي**: «قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث علىٰ الرجاء عند الخاتمة... قال العلماء: معنىٰ حسن الظن بالله تعالىٰ أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا، ويكونان سواء. وقيل: يكون الخوف أرجح؛

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالىٰ عند الموت (ح ٢٨٧٧).

(٢) «معالم السنن، شرح سنن أبي داود» (٣/ ٤٨٤)، شرح حديث (٣١١٣).

فإذا دنت أمارات الموت، غلب الرجاء، أو محضه؛ لأن مقصود الخوف: الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص علىٰ الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلىٰ الله تعالىٰ، والإذعان له، ويؤيده الحديث المذكور بعده: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»(١).

ورَوَىٰ البغوي عن ابن عباس أنه قال: «إذا رأيتم الرجل بالموت فبشروه؛ ليلقىٰ ربه وهو حسن الظن به، وإذا كان حيًّا، فخوِّفوه بربه عَزَّوَجَلَّ»(٢).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**». الحديث(٣).

وفي رواية لمسلم: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**».

فحسن الظنِّ بالله عند العصاة الذين تُرْجىٰ توبتهم، فهذا مظنة انكفافهم عن الشرِّ، وإقبالهم علىٰ ربهم، فإذا قَنطَ العاصي من رحمة الله، لجَّ في المعصية، وتمادىٰ في غيِّه، فليعِ هذا الأمر مَنْ له عناية بدعوة العُصاة، سواء كانت دعوة عامَّة أو خاصَّة؛ عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالىٰ عند الموت (ح ٢٨٧٨).

(٢) «شرح السنة» (٥/ ٢٧٥).

(٣) متفق عليه.

نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ؛ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ! وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ -أَيْ: حَكَمًا- فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»، وفي رواية في الصحيح: «فَكَانَ إِلَىٰ الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا»، وفي رواية في الصحيح: «فَأَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَإِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي». وقال: «قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إِلَىٰ هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ»، وفي رواية: «فَنَأَىٰ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا»[(١)].

فلا يمنعك ما تعلمُهُ من نفسك من تقصير في حقِّ الله؛ تركًا للواجبات، وفعلًا للمحرَّمات، لا يمنعك ذلك من حُسنِ الظنِّ بالله، فتظن أنَّ الله لا يَستجيبُ لك بسبب ذلك، فقد استجاب الله لعدوِّه إبليس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦، ٣٧].

فالمسلم أحرىٰ بالإجابة، بل حياؤك من ربِّك وشعورك بالتقصير في ذاته من أسباب استجابة دعائك، فألحَّ علىٰ ربِّك بالدعاء، فأنت تسأل عفوًّا كريمًا يعامل

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ومسلم؛ كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل رقم (٤٦-٤٧-٤٨) (٤/ ٢١١٨).

بعفوه لا بعدله، رحمته بخلقه سبقت غضبه، أرحم بنا من الوالدة بولدها. عن عمر بن الخطاب أنه قدم علىٰ رسول الله ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**»، قلنا: لا والله، وهي تقدر علىٰ ألَّا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

وإليك بعض الأمثلة علىٰ حسن الظن بالله عند أنبياء الله ورسله:

**نوح عليه السلام أحسن الظن بربه عز وجل أنه سينصره.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٠ - ١٤].

**يعقوب عليه السلام أحسن الظن بربه أنه سيرد عليه ولده يوسف عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٩٩٩) ومسلم رقم (٢٢/ ٢٧٥٤).

يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٦، ٨٧].

**موسى عليه السلام أحسن الظن بربه عز وجل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٤، ٢٥].

**أيوب عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

**يونس عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

**زكريا عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

**مسك الختام للنبيين محمد ﷺ:**

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: نظرت إلىٰ أقدام المشركين ونحن في الغار، وهم علىٰ رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه أبصرنا تحت قدميه! فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(١).

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾، أي: أمنته التي تسكن عندها القلوب، ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي: علىٰ النبي ﷺ، ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني: الملائكة.

**الدعاء**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤)، والحديث رقم (١١)، وأخرجه البخاري في: التفسير، سورة التوبة، ٩- باب ثانيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما في الغَارِ، حديث (١٧١٦). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، حديث رقم ١.

# (٢٩) الشوق إلى الله

**أما بعد:**

عندما يتمكن حب الله من قلب العبد، فإن هذا من شأنه أن يجعله دومًا حريصًا علىٰ اغتنام أية فرصة تتاح له فيها الخلوة بربه ﷻ، وبذكره ومناجاته، وجمع قلبه معه، وشيئًا فشيئًا تُسْتثار كوامن الشوق إليه سبحانه، وتلح عليه في طلب رؤيته، ليأتي العلم، فيخبره بأنه لا رؤية ولا لقاء لله في الحياة الدنيا، بل بعد الموت، فيزداد الشوق إلىٰ هذا اللقاء، وأي لقاء:

* لقاء المحبوب الأعظم الذي ناجاه لسنوات طويلة، وسكب الدمع في محرابه.
* لقاء من دعاه في أوقات عصيبة، فوجده منه قريبًا، ولدعائِه مجيبًا.
* لقاء من كفاه وحماه وأعانه علىٰ نفسه وعدوه.
* لقاء من أعطاه وأكرمه وحفظه ورعاه، وبكل بلاء حسن أبلاه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

**يقول الحسن البصري:** إن أحباء الله هم الذين ورثوا الحياة الطيبة، وذاقوا نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم، وبما وجدوا من حلاوة في قلوبهم، لا سيما إذا خطر علىٰ بالهم ذكر مشافهته، وكشف ستور الحجب عنه في المقام الأمين والسرور، وأراهم جلاله، وأسمعهم لذة كلامه، ورد عليهم جواب ما ناجوه به أيام حياتهم[١].

---

(١) «شرح حديث: «لبيك اللهم لبيك»، لابن رجب»، (ص٨٩)، دار عالم الفوائد.

وتدبر ما كان من امرأة فرعون التي كانت تسكن القصور، وهي امرأة ملك مصر فرعون، والدنيا تحت قدميها، ولكن شدة الاشتياق للقاء الله جعلتها لا تتلذذ بالدنيا، ولا تشعر بطعمها؛ لأن همتها عالية في السماء، لا تشتاق لجوار ملك من ملوك الأرض، ولكنها تشتاق للقاء مالك الملك، ملك الكون كله، الملك الحق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

فكان دعاء امرأة فرعون: قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١].

فالشوق إلىٰ الله -إذن- ثمرة من ثمار تَمكُّن حبه في قلب العبد، ويؤكد ابن رجب علىٰ ذلك بقوله: الشوق إلىٰ الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة محبة الله عَزَّوَجَلَّ، وقد كان ﷺ يسأل الله هذه الدرجة(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

ففي دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ،**

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس» (٩٣).

وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»[١]، فهو ﷺ يسأل ربه الشوق إلىٰ لقائه دون وجود أسباب ضاغطة عليه تدعوه لذلك، مثل: ضراء الدنيا وأقدارها المؤلمة، أو الفتن في الدين المضلة، أو بمعنىٰ آخر: أن يكون الشوق إلىٰ الله ناشئًا عن محض المحبة.

وعن عبادة عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**». فقالت عائشة: إنا نكره الموت! قال: «**لَيْسَ بِذَاكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، وَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، وَكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»[٢].

**الناس ثلاثة:**

**الصنف الأول:** مشتاق للقاء الله، وأعماله مستوفاة.

**الصنف الثاني:** راغب في البقاء والحياة لخدمة عبودية مولاه.

**الصنف الثالث:** راغب في الإمهال لصلاح الحال، وثقل الميزان[٣].

**الدعاء**

---

(١) (أخرجه الطبراني)

(٢) البخاري: الرقاق (٦٥٠٧)، ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٣، ٢٦٨٤)، والترمذي: الجنائز (١٠٦٦) والزهد (٢٣٠٩)، والنسائي: الجنائز (١٨٣٦، ١٨٣٧)، وأحمد (٥/ ٣١٦، ٥/ ٣٢١)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥٦).

(٣) من كلام ابن القيم.

# (٣٠) أسباب الفلاح

**أما بعد:**

فالعاقل لا يخفىٰ عليه أن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء علىٰ هذا العمل، وكل إنسان مسئول عن عمله في هذه الدنيا، ومحاسب بمفرده، فإن عمل خيرًا فهو من المفلحين، وله البشرىٰ والنعيم المقيم، وإن عمل غير ذلك كان من الخاسرين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

والله -تبارك وتعالىٰ- ذكر لنا أسباب تحصيل الفلاح في كتابه الكريم، وعلىٰ لسان نبيه الأمين محمد ﷺ حتىٰ يعرفها مَنْ يريد أن يحصلها ليجني ثمارها في الدنيا والآخرة، فيكون في الدنيا في حياة سعيدة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وهذه بعض أسباب تحصيل الفلاح، نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بها في الدنيا والآخرة.

**أولاً: الإيمان والعمل الصالح:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴾ [الحج: ٧٧].

## ثانيًا: التقوى:

قَالَ تَعَالَىٰ: وَعَلَىٰ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَاۢ بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا ٱلَّذِينَ [البقرة: ٢-٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴾ [القصص: ٦٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

## ثالثًا: تزكية النفس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤].

## رابعًا: اجتناب ما نهى الله عنه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

### خامسًا: الإنفاق والإيثار واجتناب الشح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنَّا وعنهم يا رب.

### سادسًا: عقيدة الولاء والبراء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

### سابعًا: القناعة:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ،**

وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»(١).

**ثامنًا: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من أهم الأسباب الجالبة للفلاح:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

**تاسعًا: طاعة الله ورسوله كلها تجلب الفلاح:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

نسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يَجْعلنا من المفلحين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

**الدعاء**

---

(١) رواه مسلم.

# (٣١) إدارة الأزمات

**أما بعد:**

منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، تحدث الابتلاءات والأزمات؛ الأزمة تلو الأزمة، بدأت بوسوسة الشيطان لآدم وزوجه، وإخراجهما من الجنة، كانت أزمة عظيمة لهما عليهما السلام إلَّا أن الله سبحانه وتعالى ألهمه الحل بالاستغفار، والتوبة، والإنابة إليه سبحانه وتعالى، فغفر له.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وكذا كافَّة الرسل ابتلوا ووقعوا في أزمات أثناء دعوة أقوامهم، ولكن الله نجاهم من تلك الأزمات، هم ومَنْ آمن معهم من أقوامهم؛ قوم يونس عليه السلام كيف استطاعوا إدارة وحل أزمتهم بتوفيق الله عز وجل، وكان سبب نجاتهم وخروجهم من أزمتهم الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨].

وقوم يونس عليه السلام لمَّا أظلهم العذاب، وظنوا أنه قَدْ دنا منهم، وأنهم قد فقدوا يونس، قذف الله في قلوبهم التوبة، وفرقوا بين كل أنثىٰ وولدها، وعَجُّوا إلىٰ الله أربعين ليلة (أي: رَفَعوا أصواتهم بالتلبية والدعاء)، فلما علم الله منهم صدق التوبة،

كَشَف عنهم العذاب، وقال: ﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨]، أي: لَمْ نعاجلهم بالعقوبة، فاستمتعوا بالحياة الدنيا إلىٰ حين مماتهم، وقت انتهاء أعمارهم(١).

والمتأمل والمتدبر يرىٰ أن قوم يونس عليه السلام عندما رأوا العذاب، آمنوا، وكشف الله عنهم العذاب، وأن فرعونَ لمَّا أدركه الغرق قال: آمنت بالله... فلم يقبل منه، فما هو السبب، وما هو الفرق بين قوم يونس عليه السلام وفرعون؟ إنَّ قوم يونس لمَّا أحسوا بنزول العذاب، آمنوا وتابوا، فنفعهم إيمانهم، أما فرعون، فإيمانه كان عند رؤية العذاب والموت.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

**وهذا نبي الله يونس عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصافات: ١٣٩ – ١٤٢].

**فكيف أدار يونس عليه السلام هذه الأزمة، وكيف نجا؟**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٣ – ١٤٨].

---

(١) «تفسير البغوي»، معالم التنزيل (٤/ ١٥١، ١٥٢)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٤١٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

وقال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلَاءٌ مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا، دَعَا بِهِ، يُفَرَّجُ عَنْهُ؟**»، فقيل له: بلَىٰ، فقال: «**دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**»(١).

فالأزمات والمصائب والكروب والهموم والأحزان والآلام والأكدار التي تصيب العبد في دنياه، وما من أحدٍ في هذه الحياة إلا ويعاني، فما بين مقلٍّ ومكثرٍ.

وكل هذه الأزمات لا تُكْشَف إلا بالله، فلو صدق العبد في تقربه إلىٰ الله، وفي دعائه والتضرع إليه، لنجاه الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [الفرقان: ٧٧].

وقد قاد النبي الكريم ﷺ إلىٰ ساحة القتال جيشًا لا يزيد عدد المقاتلين فيه علىٰ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، وجيش العدو فيه ألف، وكان النبي ﷺ يعلم يقينًا أن لَوْ وُكِلَ المسلمون إلىٰ أنفسهم وقوتهم المادية، لكانت النتيجة معلومة واضحة، نتيجة كل قليل ضعيف أمام قوي كثير العدد، فنهض الرسول الكريم ﷺ يتضرع إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ في إنابة

(١) الألباني: «السلسلة الصحيحة» (١٧٤٤).

نبي، وإلحاح عبد، ودعاء مضطر، وشفع لهذه العصابة في كلمات صريحة واضحة، ونبرة خالدة، فقال الرسول ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَنْ تُعْبَدَ**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

وهذه صور لبعض الابتلاءات والأزمات التي قد يقع فيها المؤمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

**فبين الله أن النجاة من كل هذه الأزمات بالصبر والصلاة.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ثم قال ربنا سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وأيضًا من أهمِّ الأمور التي تُحَلُّ بها الأزمات: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١٦].

(١) رواه مسلم.

# (٣٢) معالي الأمور

**أما بعد:**

إن عالي الهمة يَجُود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته؛ لأنه يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره، وأن المصالح والخيرات، واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظٍّ من المشقة، ولا يُعْبر إليها إلا علىٰ جسر من التعب.

فعلو الهمة هو الجد في الأمر، والترفع عن الصغائر والدنايا والطموح إلىٰ المعالي الشرعية، وكلما عظم الهدف، وسمت النفس إليه، ارتفعت الهمة، ووصف صاحبها بأنه عالي الهمة، وكلما هبط الهدف، ودنا، نزلت الهمة، وحصلت الدناءة، ورضي المرء بالصغائر والتوافه.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**»(١).

إن الله تعالىٰ يحب معالي الأمور وأشرافها، والأخلاق الشريفة والخصال الشريفة، فهي معالي الأمور، لا حب العلو والفساد في الأرض (ويكره سفسافها) حقيرها ورديئها، يُقَال: الإنسان يشابه الملك بقوة التفكر، وحسن الإدراك، ويشابه الحيوان البهيمي بما ركب فيه من الشهوة والدناءة، فَمَنْ قصرت همته علىٰ اكتساب معالي الأخلاق، أحبه الله، وشابه الملائكة، ومَنْ صرفها إلىٰ السفساف ورذائل الأخلاق، التحق بالعالم البهيمي.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٣١) رقم (٢٨٩٤)، وأورده ابن عدي (٣/ ٥) في ترجمة خالد بن إلياس بن صخر، وقال: أحاديثه كأنها غرائب وإفرادات عمن يحدث عنهم، ومع ضَعْفه يكتب حديثه، وصححه الألبانـيُّ في «صحيح الجامع» (١٨٩٠) و«السلسلة الصحيحة» (١٣٧٨).

**والله -تبارك وتعالى- حثنا على علو الهمة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

**مدح الله أصحاب الهمم العالية:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦)، واللفظ له.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(١).

فعُلوُّ الهمة يكون بالتطلع إلىٰ الآخرة، والتطلع إلىٰ طاعة الله حتىٰ في الدعاء، فإن الإنسان تكون همته عالية في الدعاء، والنبي ﷺ كان يتعوذ بالله من العجز والكسل، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان نبي الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**»(٢).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### وذم الله أصحاب الهمم الدنيئة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، رقم (٦٣٦٧) (ص٥٣٥).

ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٧].

وقال تعالىٰ عن الذين لا يقومون إلىٰ ما يرضيه، وإذا دعا الداعي إلىٰ شيء من الطاعات أحجموا وسوفوا وتكاسلوا، كما وصف الله المنافقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

**الدعاء**

# (٣٣) فضل السجود

**أما بعد:**

**«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»**(١).

**الرسول ﷺ سيعرف أُمَّته يوم القيامة بمواضع السجود:**

قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، قالوا: وكيف تَعْرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق؟ قال: **«أَرَأَيْتَ لَوْ دَخَلْتَ صَبْرَةً فِيهَا خَيْلٌ دُهْمٌ بُهْمٌ، وَفِيهَا فَرَسٌ أَغَرُّ مُحَجَّلٌ، أَمَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْهَا؟»**، قالوا: بلىٰ. قال: **«فَإِنَّ أُمَّتِي يَوْمَئِذٍ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ، مُحَجَّلُونَ مِنَ الْوُضُوءِ»**(٢).

**والسجود سبب لمرافقة النبي ﷺ في الجنة:**

عَنْ ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: **«سَلْ»**، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: **«فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**(٣).

**ولعظم السجود، أمرت الملائكة مريم بالسجود قبل الركوع:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه مسلم.

وقدموا السجود على الركوع؛ لأن السجود أفضل أركان الصلاة، والكل يسجد لله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

**وما من مخلوق إلا وهو داخل في هذا السجود دون اختيار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

**سجود الشمس:**

في «الصحيحين»، عن أبي ذرٍّ، قال النبي ﷺ له حين غربت الشمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مِغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]».

**ولذلك، لما رأى الهدهد قوم سبإٍ وهم يسجدون لغير الله، حكم عليهم بالكفر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٣ – ٢٥].

### نجاة الساجدين:

قال النبي ﷺ: «**حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال النبي ﷺ: «**يَأْتِي لَهُمْ ﷻ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ رَأَوْهُ فِيهَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَقُولُ: وَهَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ**

---

(١) البخاري.

فَتَعْرِفُونَهَا بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ، خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ»[١].

الدعاء

---

(١) رواه مسلم.

# (٣٤) فضل الدعاء

**أما بعد:**

كل دعاء ورد في كتاب الله تعالىٰ، وسنة رسول الله ﷺ، فإنه يتناول نوعين اثنين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة(١).

فإن الدعاء في القرآن يُراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويُراد به مجموعهما(٢).

**فضل الدعاء:**

**١- إجابة الله للدعاء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

هذا وعدٌ من الله محقق أن من دعاه، فإنه تعالىٰ سيجيبه، «فقد علَّق في هذه الآية الإجابة بالدعاء تعليق المسبب بالسبب»(٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، (١/ ٦٩)، و(٢/ ٤٥٦).

(٢) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢).

(٣) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية» (٨/ ١٣٩).

(٤) مسلم، كتاب الصلاة.

**٢- أن ينال به العبد مما يتمناه عند غيره بالإلحاح على ربه في سؤاله من فضله:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

**٣- الدعاء هو العبادة:**

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]»[١].

دلَّ هذا الحديث على أن الدعاء هو أفضل العبادة، وأن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة، وأرفعها، وأشرفها»[٢].

وهذا كقول النبي ﷺ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»[٣].

**٤- الدعاء سبب من أسباب عناية الله بعبده:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ [الفرقان: ٧٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) أبو داود (٢/ ٧٨)، برقم (١٤٨١)، والترمذي (٥/ ٢١١)، برقم (٢٩٥٩)، وابن ماجه.

(٢) «تحفة الذاكرين»، (ص٣٣).

(٣) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**ونأخذ طرفًا من أمثلة دعاء النبي ﷺ:**

**سيد الاستغفار:**

قال رسول الله ﷺ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا حِينَ يُمْسِي، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

**دعاء صلاة الاستخارة:**

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ -وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ- خَيْرٌ لِي فِي دِينِي**

(١) صحيح البخاري والنسائي والترمذي.

وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»[(١)].

**دعاء الإعانة على العبادة:**

قال ﷺ لمعاذ بن جبل: «إِنِّي أُحِبُّكَ، فَلَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[(٢)].

**دعاء دفع الحسد والعين والجن:**

«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبَرَأَ وَذَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»[(٣)].

**الدعاء**

---

(١) البخاري (٧/ ١٦٢) برقم (١١٦٢).

(٢) رواه أبو داود وصححه الألْبانـيُّ.

(٣) أحمد (٣/ ٤١٩) بإسناد صحيح، وابن السني برقم (٦٣٧)، وصحح إسناده الأرناؤوط في تخريجه للطحاوية (ص١٣٣)، وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٧).

# (٣٥) ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ

**أما بعد:**

فوائد كثيرة نحو المائة كما يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- وقد ذكر منها أكثر من سبعين فائدة، منها علىٰ سبيل المثال والاختصار: أن الذِّكر يطرد الشيطان، ويُرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، ويقوِّي القلب والبدن، وينوِّر الوجه والقلب، ويجلب الرزق، ويكسو المهابة والحلاوة والنضرة، ويُورث محبة الله للعبد، ويورث قرب الذاكر من ربه، ويورث الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، ويجلب مراقبة الذاكر لربه، ويفتح الله به للذاكر أبواب المعرفة، ويورث الهيبة لله عَزَّ وَجَلَّ، ويورث ذكرُ الله للذاكر: حياةَ القلب، وقُوتَ القلب والروح، ويورث جلاءَ القلب من صَدَئه، ويحطُّ الخطايا ويُذهبها، ويُزيل الوحشة بين العبد وربه، وإذا تَعرَّف العبد إلىٰ الله تعالىٰ بذِكْرِهِ في الرخاء، عرفه في الشِّدَّة، والذكر منجاة من عذاب الله، ويُسبِّب نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة، والذِّكر سببٌ لإشغال اللسان عن الغيبة، والكلام الباطل، ومجالسُ الذكر مجالسُ الملائكة، ويسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، ويُؤمِّن العبدَ من الحسرة يوم القيامة، والذكرُ مع البكاء في الخلوة سببٌ لإظلال العبد في ظل الله يوم لا ظلَّ إلا ظله، ويُعطي اللهُ الذاكر أفضل ما يعطي السائلين، والذكرُ أيسر العبادات وهو من أفضلها، وهو غِرَاس الجنة، والعطاءُ والفضلُ الذي رُتِّبَ عليه لم يُرتَّب علىٰ غيره من الأعمال، ودوام الذكر يجلب الأمان من نسيان الله لعبده الذاكر،

والذكر ليس في الأعمال شيءٌ يعم الأوقات والأحوال مثله، وهو نور للذاكر في الدنيا والآخرة، والذكرُ رأس الأمور، وفي القلب خَلَّةٌ وَفَاقةٌ لا يسدُّها إلا ذكر الله تعالىٰ، والذكر يجمع المتفرِّقَ، ويُفرِّق علىٰ الذاكر ما اجتمع عليه من الهموم والذنوب، والذكر يُنبِّه القلبَ من نومه، والذاكرُ لربِّه قريبٌ منه تعالىٰ، والذِّكرُ يعدل عتق الرقاب، ونَفَقَةَ الأموال والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، وأكرمُ العباد مَنْ لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله، وفي القلب قسوةٌ لا يذيبها إلا ذكر الله، والذكرُ شفاء القلب وعلاجه، وما جُلِبَت النعمةُ ودُفعت النقمةُ بمثل ذِكْرِ الله تعالىٰ، والذِّكرُ سببٌ لصلاة الله وملائكتِهِ علىٰ الذاكر، ومجالسُ الذكر رياضُ الجنة في الدنيا، ومجالسُ الذكر مجالسُ الملائكة، ويباهي الله بالذاكرين ملائكته، وذكرُ الله من أكْبَر العون علىٰ طاعته، وذكرُ الله يُسَهِّل الصعبَ، ويُيَسِّر العسير، ويُخَفِّف المشاق، ويُذْهب عن القلب المخاوفَ، ويجلب الثقةَ بالله تعالىٰ، وحسن الظن به، ويُعطي الذاكرَ قُوَّةً في العمل، فيفعل مع الذكر ما لا يُطيق فعله بدونه، والذاكرُ أسبق الناس «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**»، والذكرُ سَدٌّ منيعٌ بين العبد وبين جهنم، والملائكة تستغفر للذاكر، وكثرةُ الذكر أمانٌ من النفاق، والذكرُ حِصنٌ حَصينٌ مِن شرور وآفات الدنيا والآخرة(١).

**وإليك بعض الأدلة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ علىٰ بعض فضائل الذكر التي ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:**

### ذكر الله للذاكرين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

(١) «الوابل الصيب» للإمام ابن القيم (ص٨٤ – ١٨٩).

وفي الحديث: «أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذْ هُوَ ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»(١).

**طمأنينة القلب بذكر الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

**نجاة الذاكرين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

**فلاح الذاكرين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

**مغفرة الذنوب للذاكرين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

---

(١) رواه أبو داود.

**ومن سنة النبي ﷺ عن فضل الذكر:**

**سبق الذاكرين:**

عَنْ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان في طريق مكة، فمر علىٰ جبل يقال له: جمدان، فقال: «**سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**»، فقالوا: يا رسول الله، وَمَن المفردون؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[(١)].

**حب الله للذاكرين:**

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»[(٢)]، وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[(٣)].

**الدعاء**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

# (٣٦) التوكل على الله

**أما بعد:**

**تعريف التوكل في اللغة:**

قال ابن منظور في «لسان العرب»، مادة (و ك ل): وَكَلَ بالله، وتوكَّل عليه، واتَّكل: استسلم له.

**تعريف التوكل في الشرع:**

هو صدق اعتماد القلب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة[١].

وكلما قوي إيمانك بالله، كان توكلك عليه أقوىٰ، فإذا ضعُفَ الإيمان، ضعُفَ التوكل، وإذا كان التوكل علىٰ الله ضعيفًا، فهو دليلٌ علىٰ ضعف الإيمان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم أن التوكلَ شرطٌ في الإيمان، فدلَّ ذلك علىٰ انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤، ٨٥].

---

(١) الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٩).

**والتوكل صفة من صفات المؤمنين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

**ثمرات التوكل:**

**والتوكل على الله له ثمرات عديدة، نذكر منها:**

**١-محبة الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

**٢- أن يكفيك الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان آخر كلام إبراهيم حين أُلْقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، وقال نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلها: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾»(١).

**٣- دخول الجنة بغير حساب:**

عن عمران بن حصين قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ**

---

(١) البخاري.

**أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»**. فَقَام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**قَدْ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### ٤- التوكل على الله حق توكله يجلب الرزق:

عَنْ عمر بن الخطاب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(٢).

### ٥- النصر من ثمرات التوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وليعلم أنَّ الله تعالىٰ قادر علىٰ نصرنا علىٰ أعدائنا من دون مقدمات، وقد بيَّن الله تعالىٰ هذا الأمر.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦١٧٥)، ومسلم (رقم ٢٢٠).
(٢) أخرجه أحمد والترمذي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

فالنصر له أسباب، وكذلك الهزيمة، فمن أسباب النصر بعد الالتزام بشرع الله: القتال لإعلاء كلمته، فالتوكل يكون علىٰ مَنْ عنده النصر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

**الدعاء**

## (٣٧) الرجاء وأنواعه

**أما بعد:**

الله -تبارك وتعالىٰ- يعلم أن العباد لا محالة مواقعون للذنوب، وأنه سيصيبهم من الشيطان ما يصيبهم، فربما تلطَّخوا بدنس المعاصي، فمستقل منها ومستكثر، ولذلك فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد فَتَح لعباده باب الرجاء ليتوبوا ويئوبوا ويرجعوا عمَّا هم فيه من الذنوب والمعاصي، فكلنا ذوو خطإٍ، وكلنا مذنبون غير أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

عن أنس بن مالك قال: سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(١).

لقَدْ جاء الحديث ليزفَّ إلىٰ الناس البشرىٰ، فرحمة الله واسعة، وفضله عظيم، لا يقف عند حدٍّ، ولا يحصيه عدٌّ، فكان هذا الحديث إبهاجًا للتائبين، وأملًا للمذنبين، وفرصة لمَنْ أسرف علىٰ نفسه بالمعصية، أو فرَّط فيما مضىٰ من حياته.

**وقد ورد الرجاء على وجهين:**

**الوجه الأول: الرجاء، يعني: الطمع:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) «سنن الترمذي»، وقال الألبانيُّ: صحيح. «الصحيحة» (١٢٧، ١٢٨)، «الروض النضير» (٤٣٢).

### الرجاء في رحمة الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]، يعني: يطمعون في جنة الله.

### رجاء اليوم الآخر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

### الرجاء المبرور في تجارة لن تبور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق[(١)].

### رجاء مغفرة الذنوب:

عن أنس بن مالك قال: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ**

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥٧).

أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**الوجه الثاني: الرجاء، يعني: الخشية:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، يعني: لا يخشون البعث.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧]، يعني: لا يخشون البعث.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧]، يعني: لا يخشون حسابًا.

فَمِنْ أعمال القلب: الخوف والرجاء، ولا بد أن يكون الخوف مع الرجاء، وأن يكونا كالجناحين للطائر، ويدل علىٰ ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، فجمع في هذه الآية بين الخوف والرجاء.

ولهذَا صحَّ عن مكحول وغيره من السَّلف أنهم كانوا يقولون: مَنْ عَبَد الله

---

(١) سبق تخريجه.

بالخوف وحده، فهو حروري (يعني: من الخوارج)، ومَنْ عَبَد الله بالرجاء وحده، فهو مرجئ، ومَنْ عَبَد الله بالحب وحده، فهو زنديق، ومَنْ عبد الله بالخوف والرجاء والحب، فهو الموحد[١].

ولا شكَّ أن تغليبَ الخوف علىٰ الرجاء، يوصل إلىٰ اليأس والقنوط من رحمة الله، وتغليب الرجاء علىٰ الخوف يوصل إلىٰ الأَمْن من مكر الله، وتغليب المحبة علىٰ الخوف والرجاء يوصل إلىٰ ترك طلب الجنة.

فالخوف والرجاء والمحبة لا بد أن تكون متوازيةً، ودخل ﷺ علىٰ رجل وهو في النزع، فقال: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، فقال: أجدني أخاف ذنوبي، وأرجو رحمة ربي. فقال ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا رَجَا، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»[٢].

**الدعاء**

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء»، وإسناده صحيح.

(٢) الحديث رواه الترمذي وقال: غريب، والنسائي في «الكبرىٰ»، وابن ماجه من حديث أنس، وقال النووي: إسناده جيد.

# (٣٨) الشكر والشاكرين

**أما بعد:**

**اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وعَنْ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»(١).

يَا لهَا من وصيةٍ نافعةٍ، وكلمةٍ شافيةٍ وافيةٍ، فهذا يدل علىٰ الحث علىٰ شكر الله بالاعتراف بنعمه، والتحدث بها، والاستعانة بها علىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفعل جميع الأسباب المُعِينَةِ علىٰ الشكر.

**وينبغي للمؤمن أن يكون دائمًا شاكرًا لربه عَزَّ وَجَلَّ:**

عن أبي يحيىٰ صُهَيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم (٨/ ٢٢٧) (٢٩٩٩).

وإن لم يكن في الشكر إلا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أسمائه الحسنىٰ الشكور والشاكر، لكفىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

**والله -تبارك وتعالى- يبتلي الناس، فمنهم الشاكر لربه، ومنهم الكافر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

فمن الناس مَنْ فاز في هذا الابتلاء، وكان من الشاكرين، ومنهم من ينقلب علىٰ عقبيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

**وممن أثنى الله عليهم في الشاكرين:**

**نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

**إبراهيم عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

**موسى عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

**داود عليه السلام لما آتاه من فضله هو وولده سليمان:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

**سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس ماثلًا أمامه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

**محمد عليه الصلاة والسلام:**

عن أنس قال: قام رسول الله ﷺ حتَّىٰ تورَّمت قدماه، أو قال: ساقاه، فقيل له: أليس قَدْ غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»؟»(١).

**ومن فضل الله على الشاكرين: أنه جعلهم أهل منته وهدايته:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

---

(١) البخاري.

**والشكر سبب لزيادة النعم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**الشكر سبب في مرضاة الله ﷻ عن العبد:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(١).

**الشكر أمان من العذاب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

---

(١) رواه مسلم.

**عظم أجر الشاكرين في الآخرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤، ١٤٥].

**الدعاء**

# (٣٩) الإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ

**أما بعد:**

من نزل في التوبة، وقام مقامها، نزل في جميع منازل الإسلام، فإن التوبة الكاملة متضمنة لها، وهي متدرجةٌ فيها، فإذا استقرت قدمه في منزل التوبة، نزل بعده منزل الإنابة[(١)].

**والإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صفات الأنبياء والرسل:**

**إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

**شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

**داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [ص: ٢٤].

**سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

---

(١) «مدارج السالكين».

**محمد ﷺ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

**والله -تبارك وتعالى- أمر المؤمنين بالإنابة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

**وأمر ربنا -تبارك وتعالى- باتباع سبيل أهل الإنابة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

**ومن ثمرات الإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ:**

**هداية أهل الإنابة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

**بشارة أهل الإنابة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

**التذكر والاتعاظ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب.

**الإنابة إلى الله من أسباب النجاة من عذابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤].

**الإنابة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ سبب الفوز بالجنة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣١ – ٣٣].

**الدعاء**

# (٤٠) الإخبات

أما بعد:

الإخباتُ ثمرةٌ من ثمار التمسك بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ الذي ذكر لنا فيه ربنا -تبارك وتعالىٰ- أسباب سعادتنا في الدنيا، ونعيمنا في الآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

**بشارة الله للمخبتين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

واعلم أن وَجَل القلوب عند ذكر الله (أي: خوفها من الله عند سماع ذِكْره) لا ينافي ما ذكره -جلَّ وعلا- من أن المؤمنين تطمئن قلوبهم بذكر الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وَوَجْه الجمع بين الثناء عليهم بالوجل الذي هو الخوف عند ذِكْرِهِ جلَّ وعلا، مع الثناء عليهم بالطمأنينة بذكره، والخوفُ والطمأنينةُ متنافيان؛ هو ما أوضحناه في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، وهو أن الطمأنينة بذكر الله تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، وصدق ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطُمَأنينتهم بذلك قوية؛ لأنها لم تَتَطرَّقها الشُّكُوك، ولا الشُّبه، والوجل عند ذكر الله تعالىٰ يكون بسبب

خوف الزيغ عن الهدىٰ، وعدم تقبل الأعمال؛ كما قال تعالىٰ عن الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

ولهذا، كان ﷺ يقول في دعائه: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»[(١)].

**وقد وصف الله المخبتين بصفات:**

وَجَل القلوب عند ذكر الله، والصبر علىٰ الأذىٰ في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وكلُّ هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع، فليس المقصود مَنْ جَمَع تلك الصفات؛ لأن بعض المؤمنين لا يجد ما ينفق منه، وإنما المقصود مَنْ لم يخلَّ بواحدةٍ منها عند إمكانها[(٢)].

**ومن صفات المخبتين: الصبر على تحمل الأذى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧][(٣)].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي.

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور.

(٣) عن ابن عباس وقتادة: المخبتين، أي: المتواضعين.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

والإخبات من ثماره وفضائله أنه سببٌ من أسباب دخول الجنة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ٨ – ١٦].

**الدعاء**

# (٤١) الدعوة إلى الله

**أما بعد:**

الدَّعوةُ إلىٰ الله شأنُهَا عظيمٌ، وفضلُها كبيرٌ، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ أحد أركان الأعمال الصالحة التي لا يتم الربح إلا بها، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

فإن التواصي بالحقِّ يلزم منه الدعوة إلىٰ الحق، والتواصي بالصبر يلزم منه الدعوة إلىٰ الصبر علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ في أصوله وفروعه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

ويحتاج الداعية إلىٰ الأخلاق الحسنة، والصفات الكريمة، وهي أخلاق الإسلام التي بَيَّنها الله في كتابه، وبَيَّنها رسوله ﷺ في سُنَّته.

**ومن أهم هذه الأخلاق والصفات التي ينبغي للداعية أن يلتزمها:** الصدق، والإخلاص، والدعوة إلىٰ الله علىٰ بَصِيرةٍ، والحلم، والرفق، واللين، والصبر، والرحمة، والعفو، والصفح، والتواضع، والوفاء، والإيثار، والشجاعة، والذكاء، والأمانة، والحياء المحمود، والكرم، والتقوىٰ، والإرادة القوية التي تشمل قوة العزيمة، والهمة العالية، والتفاؤل، والنظام والدقة، والمحافظة علىٰ الوقت، والاعتزاز بالإسلام، والعمل بما يدعو إليه؛ ليكون قدوةً صالحةً، والزهد، والورع،

والاستقامة، وإدراك الداعية لِمَا حوله، والقصد والاعتدال، والشعور بمعية الله، والثقة بالله تعالىٰ، والتدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم، كما فعل النبي ﷺ، وأمر بذلك معاذ بن جبل عندما أرسله إلىٰ اليمن.

كما ينبغي للداعية أن يبتعد عن كلِّ ما يضاد هذه الأخلاق من الأخلاق القبيحة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

وكما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

ومما يدل علىٰ فضل الدعوة كذلك: أن الله عز وجل أمر نبيه -عليه الصلاة والسلام- بها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

والدعاة إلىٰ الله هم خير هذه الأمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد وعد الله الدعاة إليه بالفلاح في الدنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والدعوة تكون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإلىٰ صراطه المستقيم، ومغفرته وجنته، وإلىٰ النجاة من ناره وسخطه.

**دعوة إلى الصراط المستقيم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ [المؤمنون: ٧٣].

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[1].

فهذا الرَّجل طلب من النبي ﷺ كلامًا جامعًا للخير، نافعًا، موصلًا صاحبه إلىٰ الفلاح، فأمره النَّبيُّ ﷺ بالإيمان بالله الذي يشمل ما يجب اعتقاده: من عقائد الإيمان، وأصوله، وما يتبع ذلك من أعمال القلوب، والانقياد والاستسلام لله، باطنًا وظاهرًا، ثم الدوام علىٰ ذلك، والاستقامة عليه إلىٰ الممات، وَهُوَ نظير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، فرتب علىٰ الإيمان والاستقامة السلامة من جميع الشرور، وحصول الجنة.

**دعوة إلى النجاة:** ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر: ٤١].

**دعوة إلى الجنة والمغفرة:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) رواه مسلم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»، رواه مسلم.

هذا الحديث -وما أشبهه من الأحاديث- فيه الحث علىٰ الدعوة إلىٰ الهدىٰ والخير، وفضل الداعي، وَالتَّحذير من الدعوة إلىٰ الضلالة والغي، وعظم جرم الداعي وعقوبته.

**والهدىٰ**: هو العلم النافع، والعمل الصالح.

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَوَاللهِ، لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).

**الدعاء**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

# (٤٢) الحكمة

**أما بعد:**

قَدْ بَيَّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وقَدْ أمر الله تعالىٰ نبيه محمدًا ﷺ بالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالحكمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

**والحكمة:** النبوة. وقيل: القرآن والفقه به؛ ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل. وقيل: معرفة الحق والعمل به. وقيل: العلم النافع والعمل الصالح. وقيل: الخشية لله. وقيل: السُّنَّة. وقيل: الورع في دين الله. وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمىٰ الرجل حكيمًا إلا إذا جَمَع بينهما. وقيل: وضع كل شيءٍ في موضعه. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة(١).

**والحكمة نعمة من الله الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال تعالىٰ عن نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: ٢٠].

---

(١) «الحكمة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ»، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].

والحكمة كغيرها من النعم، تحتاج إلىٰ شكر؛ لذا قال تعالىٰ في هذه الآية: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].

ولأن من معاني الحكمة: وضع الشيء في موضعه، قام لقمان الحكيم بالدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فبدأ بولده، فالحكمة أن يبدأ الداعية بالأقرب فالأقرب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

والله قال لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وكما أن لقمان الحكيم بدأ بولده، فأيضًا بدأ بالنهي عن الشرك، والشيء بضده يذكر، فنهيُهُ عن الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ أمرٌ بالتوحيد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حكيمًا في جميع أموره، وخاصةً في دعوته إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فقد ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان أبو ذرٍّ يحدث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ،**

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي...». الحديث[١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**فقد بُعِثَ ﷺ لعدة مقاصد، منها تعليم الناس الحكمة:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

**الدعاء**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ٤٥٨)، ومسلم، واللفظ له.

# (٤٣) حسن الخلق

**أما بعد:**

إنَّ أعظمَ ما يتميَّز به المسلم بعد استقرار الإيمان بالله تعالىٰ في قلبه: التحلي بالأخلاق الفاضلة، والتعلق بآدابها، فحسن الخلق ذو أهمية بالغة؛ فالله -تبارك وتعالىٰ- أمر به نبيه الكريم، وأثنىٰ عليه به، وعظَّم شأنه الرسولُ الأمينُ ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤].

وسُئِلَتْ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن خُلُقِهِ ﷺ، فقالت: «.. فإنَّ خُلُق نبيكم ﷺ كان القرآن»(١).

قال ابن عباس: حسن الخلق هو السمت الحسن.

وقال الجمهور: حسن الخلق هو حصيلة ما تعبد به المؤمن من قرآنٍ وسُنَّةٍ، وقالوا: هو اللين والتلطف(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩﴾ [الكهف: ١٩].

**الأخلاق ثلاثة:**

١- خلق مع الله، تعرف قدره، وتنزله في قلبك منزلةً هي منزلتك عنده.

٢- خلق مع الآخرين، أن تعاملهم علىٰ قَدْر معادنهم.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) «التذكرة» للقرطبي.

٣- خلق مع النفس، أَنْ تنهاها عن غيها، فإن انتهت فأنت حكيم، وأيضًا الأخلاق الإسلامية هي مجموعة الأقوال والأفعال التي يجب أن تقومَ علىٰ أصولٍ وقواعد وفضائل مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة والشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم، وسُنَّة النبي ﷺ.

ومما يستنبط من هذا التعريف: أنَّ الأخلاق في الإسلام ليست جزءًا من الدين، بل هي جوهره وروحه.

ولكي يتبيَّن لك أخي الكريم بعضٌ من حسن الخلق، نعرضها فيما يلي:

**أولًا:** حسن الخلق من أعظم روابط الإيمان، وأعلىٰ درجاته؛ لقوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[(١)].

**ثانيًا:** حسن الخُلُق مَنْ تخلَّق به، كان من أحبِّ الناس إلىٰ النبي ﷺ، وأقربهم منه مجلسًا يوم القيامة: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[(٢)].

**ثالثًا:** حُسْن الخُلُق يجعل المسلم من خيار الناس مطلقًا، ولا يكون كذلك إلا بالتخلُّق بهذا الخلق العظيم، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الرضاع، باب حق المرأة علىٰ زوجها، برقم (١١٦٢)، وأبو داود، كتاب السُّنَّة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، برقم (٤٦٨٢)، وحسنه الأَلْبانيُّ في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب معالي الأخلاق، برقم (٢٠١٩)، وصححه الأَلْبانيُّ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩٦).

(٣) البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم (٣٥٥٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة =

**وقد أحسن الشاعر إذ يقول:**

**إنمــا الأمــم الأخــلاق مــا بقيــت فــإن هــمُ ذهبــت أخلاقهــم ذهبــوا**

**رابعًا:** حسن الخلق من أعظم القربات، وأجلّ العطايا والهبات؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، فَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»(١).

**خامسًا:** حُسْن الخلق يدرك المسلمُ به درجة الصائم القائم، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(٢).

**سادسًا:** حسن الخلق خيرٌ من الدنيا وما فيها؛ ولهذا قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ، فَمَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**»(٣).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

---

= حيائه ﷺ، برقم (٢٣٢١).

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم (٤٧٩٩)، والترمذي بلفظه، كتاب البر والصلة، باب بيان ما جاء في حسن الخلق، برقم (٢٥٨٧)، وصححه الألْبَانيُّ في «صحيح أبي داود» (٣/ ٩١١).

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم (٤٧٩٨)، وصححه الألْبَانيُّ في «صحيح أبي داود»، (٣/ ٩١١).

(٣) أحمد في «المسند» بإسناد جيد (٢/ ١٧٧)، وانظر «صحيح الجامع الصغير» للألْبَانيِّ (١/ ٣٠١)، برقم (٨٨٦).

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**سابعًا:** يُحصِّل حسنُ الخلق جوامعَ الخيرات والبركات؛ قال النبي: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**»[1].

**ثامنًا:** حسنُ الخلق هو وصية رسول الله ﷺ إلىٰ جميع المسلمين، فقد أوصىٰ به ﷺ معاذ بن جبل حينما بَعَثه إلىٰ اليمن واليًا، وقاضيًا، وداعيًا إلىٰ الله، فقال له: «... **وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[2].

**الدعاء**

---

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، برقم (٢٥٥٣).

(٢) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧)، وحسنه الأَلْبَانـيُّ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩١).

# (٤٤) الأمانة

**أما بعد:**

الأمانة هي أُولَىٰ الصفات التي اتَّصف بها الأنبياء، ولا عجب أن تبرز هذه الصفة، وتبلغ كمالها في محمد ﷺ قبل النبوة وبعدها حتىٰ سُمِّي قبل النبوة بالأمين، ولما أمر ﷺ بالهجرة، فقبل أن يهاجر ﷺ، كلَّف علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتأخر في مكة من أجل ردِّ الأمانات إلىٰ أهلها، وبيَّن له الأمانات، وعندما علم الناس أن النبي ﷺ خرج، قام كل واحد فيهم بطلب حقه وأمانته، فعليٌّ موجودٌ، قال: تعالوا وخذوا حقوقكم، وهذا من باب رد الأمانات إلىٰ أهلها، وحرصه ﷺ علىٰ أداء الأمانة.

والأمانة صفة جامعة، يدخل فيها التكاليف الدينية والإنسانية كلها، فالأمانة لا تنافي الخيانة فقط، بَلْ تنافي الكذب، وتنافي الغش، وتنافي النميمة والغيبة، وإفشاء السر، وشهادة الزور، وكتمان الحق... إلخ.

**نوح عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٠٧].

**هود عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٥- ٦٨].

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٥].

**صالح عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٤٣].

**لوط عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٢].

**شعيب عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٧٨].

**موسى عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الدخان: ١٧، ١٨].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

**جبريل عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣].

### أنواع الأمانة:

أمانة الكلمة، أمانة المال، أمانة الريادة والمصالح العامة، أمانة الطرق والسيارات، أمانة البدن والجوارح، أمانة العرض والأعراض، أمانة التربية للأولاد، أمانة القصد والوجهة، أمانة الصحبة، أمانة العشرة الزوجية، أمانة الأداء في التكاليف الشرعية، أمانة النفس مع الصراط السوي، أمانة الوقت.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### والأمانة هي التكاليف الشرعية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وإذا كانت الأمانة بهذه المنزلة العالية الرفيعة حتىٰ تشمل سائر التكاليف الدينية، والكمالات الإنسانية، فلا جرم أن الخيانة أقبح ما يتصف به المسلم بحيث يعد إسلام المتصف بها نفاقًا، كما في الحديث: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1].

(١) البخاري.

**والأمانة دليل على إيمان العبد:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨].

**الدعاء**

# (٤٥) خلق التواضع

**أما بعد:**

**يقال: تواضع:** تذلَّل وتخاشع [١].

**والمراد بالتواضع:** إظهار التنزل لمَنْ يراد تعظيمه. وقيل: تعظيم مَنْ فوقه لفضله [٢].

**وأمر الله عَزَّوَجَلَّ النبي ﷺ والأمة من بعده بالتواضع:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وكان نبينا ﷺ سيد المتواضعين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الْغَنَمَ**»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**» [٣].

**قال ابن إسحاق:** وكان رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَىٰ الْغَنَمَ**»، قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**وَأَنَا**» [٤].

**والتواضع صفة عظيمة، وخلق كريم يجب على الدعاة إلى الله تعالى، وغيرهم، ولهذا مدح الله المتواضعين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]، أيْ: يَمْشون في سكينةٍ ووقارٍ متواضعين غير أشرين،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص٩٩٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٤١).

(٣) رواه البخاري.

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٦٧).

ولَا مُتَكبِّرين، ولا مرحين، فهم علماء، حلماء، وأصحاب وقارٍ وعِفَّةٍ(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ [لقمان: ١٨].

## وذم الله الكبر والمتكبرين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣﴾ [النحل: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧٢].

## وذم النبي ﷺ الكبر:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حسنًا، ونَعْله حسنًا، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٢).

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٧).

(٢) رواه مسلم.

واللهُ -تبارك تعالىٰ- يرفع المتواضع في الدنيا والآخرة؛ لقول النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ**»(١).

ويثبت الله عَزَّوَجَلَّ للمتواضع في قلوب الناس منزلةً، ويرفعه عندهم، ويجلُّ مكانه(٢).

أَمَّا مَنْ تكبَّر علىٰ الناس، فقد تَوعَّده الله بالذلِّ والهوان في الدنيا والآخرة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر عن نفسه سبحانه وتعالىٰ أنَّ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُهُ ذَلِكَ عَذَّبَهُ**»(٣).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغُرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تُسمَّىٰ العضباء، وكانت لا تُسْبَقُ، فجاء أعرابيٌّ علىٰ قَعُود له فسبقها، فاشتدَّ ذلك علىٰ المسلمين، وقالوا: سُبِقَتِ العضباء، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَلَّا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ**»(٤).

---

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٨٨).

(٢) «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» (١٦/ ١٤٢).

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، برقم (٢٦٢٠).

(٤) البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، برقم (٦٥٠١).

ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة للدعاة، فقَدْ كان متواضعًا في دعوته للناس، فعَنْ أَبي مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتىٰ النبيَّ ﷺ رجلٌ فكلَّمه، فَجَعل تَرْعُد فرائصه، فَقَال له: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ نَفْسَكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**»، وَزَاد الحاكم في روايته عن جرير بن عبد الله: «**فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ**»، ثم تلا جرير: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [ق: ٤٥][1].

**الدعاء**

---

(١) الحاكم (٢/ ٤٤٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألْبانيِّ.

# (٤٦) أنواع الأخوة

**أما بعد:**

وردت الأُخوَّة في كتاب الله ﷻ، وفي سُنَّة رسوله ﷺ علىٰ أنواع متعددة، أهمها وأعظمها: أُخوَّة الدين التي هي من أقوىٰ دعائم بناء الأُمَم؛ فبِها أقَام رَسُولُ الله ﷺ دولةَ الإسلام الَّتي دَان لها ممالك الأرض في ذلك الوقت: الفرس والروم؛ ويرجِع ذلك لرباط العقيدة والدين، فحين هاجر النبي ﷺ إلىٰ المدينة، آخىٰ بين المهاجرين والأنصار أُخوَّةً عامةً، ثم بين رجلين رجلين إلىٰ أن كان أحدهما يرث الآخر.

**أولاً: أخوة الإيمان:**

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [مريم: ٢٨].

عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ أهل نجران، فقالوا لي: ألستم تقرءون: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾؟ قلت: بلىٰ، وقد علمتم ما كان بين عيسىٰ وموسىٰ، فرجعت إلىٰ رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «**أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِين قَبْلَهُمْ**»(١).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ**

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي.

اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وعَنِ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ»، وَيَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا تَوَادَّ اثْنَانِ، فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا»، وَكَانَ يَقُولُ: «لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ سِتٌّ: يُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَنْصَحُهُ إِذَا غَابَ، وَيَشْهَدُهُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيَتْبَعُهُ إِذَا مَاتَ»، وَنَهَىٰ عَنْ هِجْرَةِ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ(٢).

وقال ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»(٣).

عَنْ أبي هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»(٤).

وعن معاذ -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»(٥).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

**حدود العلاقة بين المؤمن والكافر:**

قال تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾ [التوبة: ١] إلىٰ أن قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾ [التوبة: ١١].

**ثانيًا: أخوة النسب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ [النساء: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ﴾ [طه: ٤٠].

فَأُخوَّة الدِّين أثبت من أُخوَّة النسب، ففي غزْوة بدرٍ أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ حين أقْبَل بالأسارىٰ، وَفرَّقهم بين أصحابِه، وقال: «**اسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا**»، فكان من بين الأَسْرَىٰ أبو عزيز بن عُمير بن هاشم، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمِّه، قال أبو عزيز: مرَّ بي أخي مُصعب بن عمير، ورجلٌ من الأنصار يأسرُني، فقال: «اشدد يَدَيْك به؛ فإنَّ أمَّه ذات متاع لعلَّها تفديه منك»، ولمَّا قال أخوه مصعب هذا، التفت إليه أخوه أبو عزيز قائلًا: يا أخي، هذه وصاتك بي! فقال له مصعب: إنَّه أخي دونك.

**ثالثًا: أخوة الرضاعة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٢٣].

عَن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ في بنت حمزة: «**لَا تَحِلُّ لِي، يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**»(١).

## رابعًا: أخوة الكفر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦﴾ [آل عمران: ١٥٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢﴾ [الحشر: ١١، ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ٢٠٢﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

## خامسًا: إخوان الشياطين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ٢٥٠٢)، ومسلم (١٤٤٧).

**سادسًا: أخوة الجنة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٥٠-٦١].

**قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُخْبر تعالىٰ عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون، أي: عَنْ أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون فيها؟ وذلك من حديثهم علىٰ شرابهم، واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم، وهم جلوس علىٰ السرر، والخدم بين أيديهم، يسعون ويجيئون بكل خيرٍ عظيمٍ، من مآكل ومشارب وملابس، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر». انتهىٰ[(١)].

**الدعاء**

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٥)، «حادي الأرواح» لابن القيم (١/ ٢٥٩-٢٦٣).

# (٤٧) المحن والمنح

**أما بعد:**

ينظر الإنسان إلىٰ الظواهر، ويترك البواطن، فينظر إلىٰ آلام المخاض، وينسىٰ فرحة الميلاد، إن الذهب حينما يُسْتَخرج خامًا، لا بد أن يوضع في النار حتىٰ ينقىٰ من الشوائب، ويصير ذا قيمة، كذلك تفعل المحن بالمسلم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٤١﴾ [آل عمران: ١٤١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧].

**كم من محنة في طيها منح ورحمات:**

**محنة نبي الله يونس عليه السلام:**

بعث الله يونس عليه السلام إلىٰ أهل نينوىٰ من أرض الموصل، فدعاهم إلىٰ الله عز وجل، فكذَّبوه وتمردوا علىٰ كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث. قال ابن مسعودٍ، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وغير واحدٍ من السلف والخلف: فلما خرج من بين ظهرانيهم، وتحققوا نزول العذاب بهم، قَذَف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا علىٰ ما كان منهم إلىٰ نبيهم، فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجوا إلىٰ الله عز وجل، وصرخوا وتضرعوا إليه، وتَمَسْكنوا لديه، وبكىٰ الرجال والنساء، والبنون، والبنات، والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة، فكشف الله

العظيم بحوله وقوته، ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه، ودار علىٰ رؤوسهم كقطع الليل المظلم.

ولهذا، قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

أي: هَلَّا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكمالها، فَدلَّ علىٰ أنه لم يقع ذلك، فانظر إلىٰ محنة يونس عليه السلام مع أهل نينوىٰ، ومحنته في بطن الحوت، ثم بعد ذلك تأتي المنح من ربِّ العالمين جلَّ وعلا، رفع الله العذاب عن أهل نينوىٰ، وجاءت المنح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٣٩- ١٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

وقد مرَّ النبي ﷺ بمِحَنٍ كثيرةٍ أتت بعدها المنح، نَذْكر منها علىٰ سبيل المثال الهجرة بعد إيذاءٍ استمر طويلًا، فَصَبر النبي ﷺ صبرًا جميلًا؛ لأنَّ الله قال له: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم: ٤٨- ٥٠].

كذلك لما مات أبو سلمة، ماذا تقول أم سلمة وزَوْجُها بهذه المكانة الكبيرة في

نفسها؟ قالت ما تعلمته سابقًا: «**إِنَّا للهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ آجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**»، ولما مات زوجها، وجاءت لتقول العبارة، فقالت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ بعدما رأت من حسن معشره، وطيب خصاله، ولأنها مؤمنة قالت ما تعلمته، قالت: فأخلف الله لي رسول الله ﷺ، فقد خطبها وتزوجها.

**محنة هاجر أم إسماعيل عليهما السلام:**

حين فَقَدت الطعام والشراب، وظلت تسعىٰ بين الصفا والمروة لترسم للحجيج خُطَىٰ الحج والعمرة، وجاءت المنحة بنبع ماء زمزم تحت قدمي إسماعيل عليه السلام.

**نبي الله يوسف عليه السلام:**

فإن من الابتلاءات التي ابتلي بها يوسف: حَسدَ إخوته له، وإبعادَهم إياه عن أبيه، وإلقَاءَهم له في البئر، وبيعَه بثمن بخس، واتهامَهم له بالسرقة، واستعبادَه بمصر، وابتلاءَه بمحنة تعلق قلب امرأة العزيز واتهامها إياه، وبقاءَه في السجن بضع سنين، ثم بعد ذلك تأتي المنح ليوسف عليه السلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ٩٩- ١٠١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**أما عن محنة بني إسرائيل، فقد تعرضوا لمحن عصيبة على أيدي فرعون:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٤﴾ [القصص: ٤].

**ثم بعد ذلك تأتي المنح:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩﴾ [البقرة: ٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١﴾ [الأعراف: ١٤١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ

وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ ۝٦﴾ [إبراهيم: ٦].

عَنْ مصعب بن سعدٍ، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ: يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَىٰ قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١).

**الدعاء**

---

(١) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، برقم (٢٣٩٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء، برقم (٤٠٢٣)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (٢/ ٥٦٥)، وفي «صحيح ابن ماجه»، (٢/ ٣٧١)، وفي «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، برقم (١٤٣).

# (٤٨) الصبر عند المصائب

**أما بعد:**

**المصائب والابتلاءات والمحن تكون بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وقضائه وقدره:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: ١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**»(١).

وعَنْ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنْتُ خلف النبي ﷺ يومًا، فقال: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(٢).

---

(١) مسلم: القدر (٢٦٥٣)، والترمذي: القدر (٢١٥٦)، وأحمد (٢/ ١٦٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣) (٢٦٦٩)، والحاكم (٣/ ٦٢٤).

**قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الناس حال المصيبة على مراتب أربع:

**المرتبة الأولى: التسخط، وهو على أنواع:**

**النوع الأول**: أن يكون بالقلب، كأن يتسخَّط على ربه، يغتاظ مما قدره الله عليه، فهذا حرامٌ، وقد يؤدي إلى الكفر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج: ١١].

**النوع الثاني**: أن يكون التسخُّط باللسان، كالدعاء بالويل والثبور، وما أشبه ذلك، وهذا حرام.

**النوع الثالث**: أَنْ يكون التسخُّط بالجوارح، كلَطْم الخدود، وشقِّ الجيوب، ونتف الشعور، وما أَشْبَه ذلك، وكلُّ هذا حرامٌ منافٍ للصبر الواجب.

**المرتبة الثانية: الصبر، وهو كما قال الشاعر:**

**والصبرُ مثلُ اسمه مُرٌّ مَذَاقُهُ ... لكنْ عواقبه أحلىٰ من العَسَلِ**

فَيَرىٰ أن هذا الشيء ثقيل عليه، لكنه يحتمله، وهو يكره وقوعه، ولكن الصبر يحميه من السخط، فليس وقوعه وعدمه سواء عنده، وهذا واجب؛ لأن الله تعالىٰ أمر بالصبر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦].

**المرتبة الثالثة: الرضا:**

بأن يَرْضىٰ الإنسان بالمصيبة، بحيث يكون وُجُودُها وعدمها سواء، فلا يشق عليه وجودها، ولا يتحمل لها حملًا ثقيلًا، وهذه مستحبةٌ، وليست بواجبةٍ علىٰ

القول الراجح، والفرق بينها وبين المرتبة التي قبلها ظاهرٌ؛ لأنَّ المصيبة وعدمها سواء في الرضا عند هذا، أما التي قبلها فالمصيبة صعبة عليه، لكن صبر عليها.

**المرتبة الرابعة: الشكر:**

وهُوَ أعلىٰ المراتب، وذلك بأن يشكرَ الله علىٰ ما أصَابه من مصيبةٍ، حيث عرف أن هذه المصيبة سببٌ لتكفير سيئاته، وربما لزيادة حسناته، قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا**»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**»، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَىٰ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَا مَنْ عَبْدٍ يُصِيبُ مُصِيبَةً، فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ آجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت كما أَمَرنِي رسول الله ﷺ، فأخلف الله خيرًا

(١) رواه البخاري (٥٧٣٤)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ... انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) متفق عليه.

منه: رسول الله ﷺ[(١)].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وعن أبي يحيىٰ صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[(٢)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩].

ولو يعلم المصاب ما يَدَّخره الله له من الأجر الكبير، والعطاء الواسع العظيم إن صبر، لتمنىٰ أن مصيبته أشد بلاءً، وأعظم نكاءً، فالصبر يظهر الفرق بين ذوي العزائم والهمم، وبين ذوي الضعف والخور، والصابرون يُوفون أجورهم بغير حساب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

**وقال تعالى عن أهل الجنة:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤].

**الدعاء**

# (٤٩) خصائص الأنبياء

بعث الله عَزَّوَجَلَّ في كل أمة رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، والكفر بما يُعْبد من دونه، والرسل جميعًا صادقون، وقد بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، منهم مَنْ أعلمنا الله باسمه، ومنهم مَنْ استأثر الله بعلمه. والأنبياء والرسل هم صفوة البشر وسادتهم، اصطفاهم الله واجتباهم، وهم أطهر البشر قلوبًا، وأذكاهم عقولًا، وأصدقهم إيمانًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأكملهم دينًا، وأقواهم عبودية، وأكملهم أجسامًا، وأحسنهم صورةً، وقد خصَّهم الله بخصائص، أهمها:

**١- اصطفاهم بالوحي والرسالة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج: ٧٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

**٢- العصمة فيما يبلغونه للناس من العقيدة والأحكام، ولو أخطئوا، فالله عَزَّوَجَلَّ يردهم إلى الحق والصواب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: ١-٥].

**٣- الأنبياء لا يورثون بعد موتهم:**

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»[1].

(١) متفق عليه.

**٤- الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم:**

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الإسراء، وفيه قال أنس: وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَينَاهُ، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ، وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ[(١)].

**٥- الأنبياء يخيرون عند الموت بين الدنيا والآخرة:**

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَينَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[(٢)].

**٦- الأنبياء يقبرون حيث ماتوا:**

عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ**»[(٣)].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه أحمد، «صحيح الجامع».

**٧- الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون:**

١- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِم يُصَلُّونَ**»[(١)].

٢- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»[(٢)].

**٨- الأنبياء أزواجهم لا تُنكح من بعدهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب: ٥٣].

**الدعاء**

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ.

(٢) أخرجه مسلم.

# (٥٠) سمات دعوة الأنبياء

**أما بعد:**

**تمتاز دعوة الأنبياء والرسل بأنها وحي وتكليف من اللّه عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

**الإخلاص:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

**التجرد من الأغراض الشخصية:**

علىٰ لسان نبيه هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [الفرقان: ٥٧].

**الزهد في الدنيا:**

الأنبياء كانوا زاهدين في الدنيا، مُقْبلين علىٰ الآخرة، يرغبون عما عند الناس،

وقد خاطب الله رسوله الكريم ﷺ:

**قَالَ تعالَىٰ:** ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**البساطة في الدعوة إلى الله ﷻ:**

قَالَ تَعَالَىٰ علىٰ لسان نبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

**الدعاء**

# (٥١) الأدب مع النبي ﷺ

**أما بعد:**

جعل الله سعادة العباد ونجاتهم في يوم الميعاد متعلقةً بطاعته وطاعة رسوله، وجعل شقاءهم وهلاكهم متعلقًا بمعصيته ومعصية رسوله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وخَاتم المرسلين وسيدهم وأكرمهم علىٰ ربه نبينا محمد ﷺ الذي جعله الله رحمةً للعالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأرسله بالهدىٰ ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فَخَتم به الرسالة، وَهَدىٰ به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وفتح برسالتِهِ أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وتَركَنا علىٰ المحجة البيضاء، فبَيَّن ﷺ الكفرَ من الإيمان، والربحَ من الخسران، والهدىٰ من الضلال، وأهل الجنة من أهل النار، والمُتَّقين من الفجار، فهو المبعوث رحمةً للعالمين، وقَدْ أوجب الله وافترض علىٰ العباد طاعته ومحبته، وتعزيره وتوقيره، والقيام بحقوقه، وأوصاه باتباع شرعه ونهجه، والسير علىٰ هداه، وجعل طريقه هي الطريق الوحيدة الموصلة إليه، وسد باقي الطرق، فلَمْ يفتح لأحد طريقًا غير طريقه، وسمىٰ تلك الطرق سبلًا تضلُّ عن سبيله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن

سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقَدْ أُمِرْنَا بالأدب معه ﷺ، وهذه جملةٌ من الآداب التي يتأدب بها أهل الإيمان مع النبي ﷺ.

**أولاً: أن يُحَبَّ ﷺ أكثر من النفس والولد والوالد والناس أجمعين:**

عن أنس قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

محبَّة النبي ﷺ من أصول الإيمان، وقَدْ قرنها الله عَزَّوَجَلَّ بمحبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتوعد مَنْ قدم عليهما محبة شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

**ثانيًا: طاعته واتباعه ﷺ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

**ثالثًا: تحكيم شرعه ﷺ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) البخاري ومسلم.

**رابعًا: ألا تقدم قول أحد على قول الله ورسوله:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات: ١].

**خامسًا: الصلاة عليه ﷺ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**سادسًا: ألا تجعل دعاءه ﷺ كدعاء غيره:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور: ٦٣].

الدعاء هنا المراد به: نداء النبي ﷺ لكم، يعني: إذا دعاكم الرسول ﷺ لأمرٍ،

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

فلا تظنُّوا أن دعوتَه لكم لهذا الأمر كدعوة غيره، يعني: إذا دعاك زيدٌ من الناس، فليست دعوة زيد لك -تعال يا فلان- كدعوة رسول الله، إنما الواجب مع رسول الله أن تسمع له، وأن تطيع، ففرقٌ بين معصيتك ومخالفتك لرسول الله، وبين إجابتك دعوة النبي ﷺ، ولذَلكَ لما رأىٰ النبي ﷺ أبا سعيد بن المعلىٰ يصلي فدعاه، فلم يخرج أبو سعيدٍ من صلاته، فقال له النبي بعد أن انصرف من الصلاة: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَ؟!**»، قال: إنِّي كُنْتُ في صلاةٍ يا رسول الله! قال له النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**أَلَمْ يقل الله:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]».

**فهذا دلَّ على أن المراد بالدعاء في الآية:** المناداة، أو الدعوة التي هي: تعال يا فلان. وقيل: إنَّ المراد بالدعاء دعاء الرسول -عليه الصلاة والسلام- علىٰ الناس أو للناس، فإذا دعا الرسول علىٰ قوم، أو دعا الرسول لقوم، فليست دعوته كدعوة غيره عليه الصلاة والسلام، إذا قال النبي ﷺ: اللهم انتقم من فلان، أو: اللهم اغفر لفلان، فدعاؤه عليه الصلاة والسلام، أو دعوته بهذا الصدد ليست كدعوة غيره عليه الصلاة والسلام.

**ومن العلماء مَنْ قال في هذا الباب:** دعوة أهل الصَّلاح ليست كدَعْوة غيرهم، فمثلًا: أنت تؤذي عبدًا من عباد الله الصالحين، فدعوتُهُ عليك ليست كدعوة غيره، فهو صالح مظلوم، ويستدلُّ لهذا المعنىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

### سابعًا: عدم رفع الأصوات فوق صوته ﷺ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢].

وعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ: «**مَنْ يَعْلَمُ لِي عِلْمَهُ؟**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي مَنْزِلِهِ جَالِسًا مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: شَرٌّ، كُنْتُ أَرْفَعُ صَوْتِي فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَعْلَمَهُ، قَالَ مُوسَىٰ بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ -وَاللهِ- إِلَيْهِ فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «**اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١).

**ثامنًا: توقيره وتعزيره ﷺ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].

**تاسعًا: الاعتقاد بأنه بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصَح الأمة، وجاهَد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين.**

فصلوات الله وتسليماته عليه، ما ترك من خير إلا دلنا عليه، وما ترك من شرٍّ إلا نهانا وحذرنا منه، جَزَاه الله عنا خير الجزاء، ورزقنا الأدب معه ﷺ.

**الدعاء**

(١) رواه البخاري.

# (٥٢) أحوال الناس مع الرسل

**أما بعد:**

اقتضت حكمة الله تعالىٰ في الأمم قبل هذه الأمَّة أن يرسل في كلٍّ منها نذيرًا، ولم يرسل رسولًا للبشرية كلِّها إلَّا محمدًا ﷺ، واقتضىٰ عدله ألَّا يعذب أحدًا من الخلق إلَّا بعد أن تقوم عليه الحجة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١١٥].

من هنا كثر الأنبياء والرسل في تاريخ البشرية كثرةً هائلةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤].

وقد أَخْبَرَنا رسول الله ﷺ بعدَّة الأنبياء والمرسلين، فعن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله، كَم المرسلون؟ قال: «**ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»، وقال مَرَّةً: «**خَمْسَةَ عَشَرَ**»، وفي رواية أبي أمامة: قال أبو ذرٍّ: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»[(١)].

ولَوْ شاء الله لجعل الناس أمةً واحدةً، ولو أراد لَخَلَقَهم للطاعة الخالصة كما خلق الملائكة، ولكن هكذا شاء، ولا رادَّ لما يشاء، ولا يُسْأل عما يفعل، ونواصينا بين يديه، ونحن مِلْكٌ له، راجعون إليه، ما لنا رب غيره، ولا إله سواه، إن شاء عذَّبنا، وإن شاء عفا عنا، ونحن نسأل الله عفوَه ورحمتَه، ونعوذ به من عذابه؛ لأننا لا نستطيع

---

(١) حَكَم الأَلْبانـيُّ عليه بالصحة، وقد أطال الشيخ الأَلْبانـيُّ الكلام في تخريجه من كتب السنة، وبيان أسانيده في كتب السنن، وأقوال العلماء فيه في «السلسلة الصحيحة»، ورقمه فيها (٢٦٦٨).

أن نتخلص من عذابه إلا بعفوه، ولا نستطيع أن ننال العفو إلا منه وحده، فمن الناس مَن آمن واتبع الأنبياء والرسل، ومنهم مَنْ كفر وأعرض عن طريق الأنبياء والرسل، ولذلك يكون السؤال يوم القيامة من رب العالمين -جلَّ وَعَلا- للناس عن إجابتهم الأنبياء والرسل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

ويسأل ربنا -تَبارَك وتَعالَىٰ- الأنبياء والرسل عن إجابة الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

ومن فِقْهِ القرآن، وبلاغة القرآن أن يجمع الله عَزَّوَجَلَّ الآيتين في آية واحدة ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦].

وهذه الأمة جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، أي: خير الأمم، لكن هذه الخيرية مقيدةٌ بما وصف الله به هذه الأمة في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، بهذه الصفات كانوا خير أمة أخرجت للناس، وهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، وقدم الله الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لِعِظَمِ شأنهما وأهميتهما، وإلا فإن الإيمان مقدم؛ لأنه أصل الدين، وأساس الملة، فمَنْ تحقَّقت فيه هذه الصفات، حصلت له الخيرية، ومَنْ فَاتَته هذه الصفات، فاتته الخيرية.

**والسؤال يوم القيامة:** ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

**جواب أمة محمد ﷺ:**

الفريق الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وهذا مثالٌ من أمثلةٍ كثيرةٍ من طاعة الصحابة للنبي ﷺ، فكل حياتهم كانت استجابة لله ولرسوله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ إلىٰ بدر حتىٰ إذا كان بالرَّوحاء، خطب الناس، فقال: «**كَيْفَ تَرَوْنَ؟**»، فقال أبو بكر: يا رسول الله، بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا. قال: ثم خطب الناس، فقال: «**كَيْفَ تَرَوْنَ؟**»، فقال عمر مثل قول أبي بكر، ثمَّ خطب الناس، فَقَال: «**كَيْفَ تَرَوْنَ؟**»، فقال سعد بن معاذٍ: يا رسول الله، إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك، وأنزل عليك الكتاب، ما سلكتها قطُّ، ولا لي بها علم، ولئن سرت حتىٰ تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسىٰ: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما لمتبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر، وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك، فامض له، فَصِلْ حبالَ من شئت، واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت، وسَالِمْ مَنْ شئت، وخُذْ من أموالنا ما شئتَ، فنزل القرآن علىٰ قول سعد: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾ الآيات[(١)].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) الراوي: علقمة بن وقاص الليثي. المحدث: أحمد شاكر. المصدر: عمدة التفسير - الصفحة أو الرقم (٢/ ١٠٢)، خلاصة حكم المحدث: أشار في المقدمة إلىٰ صحته.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

### الفريق الثاني:

وهُمُ الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله، وأبوا إلا الكفر والإعراض.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

وقَدْ كذب الكفار النبي ﷺ، واتهموه بالكذب والشعر والكهانة والجنون، فتولىٰ الله ﷻ الدفاع عن نبيه ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: ٣٠].

فدافع الله ﷻ عن نبيه ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٤١].

ودافع الله ﷻ عن حبيبه ﷺ، وردَّ علىٰ أعدائه الذين رموا النبي ﷺ بالجنون، فرد عليهم قولهم، ودحضه، وذب عن المصطفىٰ ﷺ، وطيَّب خاطره بقوله: ﴿نٓ

وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: ١، ٢]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور: ٢٩]، وردَّ عليهم أيضًا بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ [التكوير: ٢٢]، وقال منكرًا عدم تفكُّرهم حين قالوا ما قالوا؛ ليثبت بذلك أن هذا القول لا يصدر إلا عمَّن عطل عقله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤﴾ [الأعراف: ١٨٤].

ويذكر ربنا -تبارك وتعالىٰ- علمه بحزن النبي ﷺ من تكذيب قومه له، ويبين له أنه لا ينبغي أن يحزن؛ فتكذيبهم ليس له ﷺ، إنما هو جحود منهم، وكفر بآيات الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣].

**الدعاء**

# (٥٣) ماذا أجبتم المرسلين؟

**أما بعد:**

**الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

**ومن لم يؤمن بالرسل، ضل ضلالاً بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

**ومن كفر بالرسل وهو يزعم أنَّه يؤمن بالله، فهو عند الله كافر لا ينفعه إيمانه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

**فقد نصَّت الآية على كفر من زعم الإيمان بالله وكفر بالرسل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠].

**يقول القرطبي في هذه الآية:** «نَصَّ سبحانه علىٰ أَنَّ التفريق بين الله ورسله كفرٌ، وإنَّما كان كفرًا؛ لأنَّ الله فرض علىٰ الناس أن يعبدوه بما شرعه علىٰ ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل، ردُّوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من

التزام العبودية التي أُمِرُوا بالتزامها، فمن الناس مَنْ آمن، ومنهم من كفر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢]، ولكن أكثر الناس كفروا.

فلما توعد إبليس أهل الإيمان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

**وإليك بعضًا من إجابة الأمم على أنبيائها ورسلها؛ لأن الأمم تُسأل يوم القيامة عن إجابتها للأنبياء والرسل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

**إجابة قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٢].

**إجابة قوم هود عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٥ - ٦٨].

**إجابة قوم صالح عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**إجابة قوم إبراهيم عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤].

**إجابة قوم لوط عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف: ٨٢ – ٨٣].

**إجابة قوم شعيب عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأعراف: ٨٨ – ٩٠].

**إجابة أمة موسى وهارون عليهما السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥–٤٨].

**إجابة أمة عيسى عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢].

**إجابة أمة محمد ﷺ:**

**تعددت الإجابات في أمة محمد ﷺ:**

**أ- إجابة المؤمنين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

**ب – إجابة طوائف أهل الكتاب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣].

**ج – إجابة الكافرين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١].

**الدعاء**

# (٥٤) من عطاءات الله لنبيه ﷺ

**أما بعد:**

الرسول ﷺ نعمة أنعم الله به علينا، فحريٌّ بنا حينما نتذكر النعمة نتذكر المنعم بها ونشكره عليها. وهذا الشكر يستوجب منا أن نتمسك بكتاب الله تعالىٰ وسنة رسول الله ﷺ مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد منح الله سبحانه نبيَّه من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحْهُ غيرَه من قبله أو بعده. وقد أعطاه الله في الدنيا شرف النَّسب، وكمال الخِلقة، وجمال الصورة، وقوة العقل، وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس والأعضاء، والأخلاق العظيمة، والآداب الشرعية من: الدين، والعلم، والحلم، والصبر، والزهد، والشكر، والعدل، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والسكينة، والتؤدة، والوقار، والهيبة، والرحمة، وحسن المعاشرة ما لا يُستطاع وصفه وحصره.

فما أعظمَك يا رسول الله، ولقد صدق ربنا ﷻ إذ يقول في شأنك ووصفك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وعطاء الله لنبيِّه ﷺ كثير يحتاج إلىٰ خطب وإلىٰ دروس، ولكن نذكر منه علىٰ سبيل المثال وليس علىٰ سبيل الحصر: أن من عطاء الله لنبيه ﷺ أن الله قد زكَّاه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢].

وزكَّاه في بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧].

وزكَّاه في لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣].

وزكَّاه في فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١].

وزكَّاه في صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١].

وزكَّاه في مُعلِّمه فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥].

وزكَّاه كلَّه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحىٰ: ٥].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضىٰ به من خيري الدنيا والآخرة، ومن أهمِّ ذلك عنده وأقدمه لديه قبول شفاعته لأُمَّته» انتهىٰ[(١)].

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفىٰ إغفاءة ثم رفع رأسه متبسِّمًا، فقيل: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ يُقْرَأُ فِيهَا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣].

ثم قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّي إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا حَدَثَ بَعْدَكَ**»[(٢)].

وعن سهل بن سعد، قال: قال النبي ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ**

---

(١) من «فتح القدير» (٥/ ٦٤٩).

(٢) صحيح مسلم.

**شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».**

وزاد أبو سعيد الخدري، فقال: «**فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**»(١).

**قال ابن عبد البر:** كلُّ من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض، وأشدهم مَن خالف جماعةَ المسلمين كالخوارج والروافض وأصحاب الأهواء، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمُعْلِنون بالكبائر، فكلُّ هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنوا بهذا الخبر(٢).

**عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»(٣).

**عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال:** «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلَكُوا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ؛ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ، أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ**

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك، المكتبة التجارة الكبرى - مصر، ١٩٥٩م، (١/ ٦٥).

(٣) متفق عليه.

**عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُفْنِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ فِي أُمَّتِي السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»**(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

**ومن عطاء الله للنبي ﷺ:**

**الشفاعة:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي عليه الصلاة والسلام أُتي بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة ثم قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكم، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، اذْهَبُوا إِلَيْهِ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟**

(١) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ١٧٧٣ في صحيح الجامع.

فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي. نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ -فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ- ثُمَّ قَالَ: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ.اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا. نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ -

وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا لِنَفْسِهِ- ثُمَّ قَالَ: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ. سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ -أي: ما بين قائمي الباب الواحد من أبواب الجنة- كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ -كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ- وفي رواية: أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ -وهي اسم بلد من بلاد الشام-، وفي رواية: مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ»[1].

الدعاء

---

(١) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

# (٥٥) فضل الصلاة على النبي ﷺ

**أما بعد:**

الصلاة على النبي ﷺ قد بيَّنها رسول الله ﷺ لأصحابه حين سألوه عن ذلك، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: أَلَّا أُهدِي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى فأهْدِها إليَّ. فقال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله علمنا كيف نسلم؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(١)].

وعن كعب بن عجرة قيل: يا رسول الله، أَمَّا السلام عليك فقد عرَفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)].

وعن أبي سعيد الخُدري قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السَّلام عليك فكيف نصلي؟ قال: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ**»[(٣)].

---

(١) البخاري.

(٢) مسلم.

(٣) البخاري.

وعن أبي حميد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

**ومن فضائل الصلاة على النبي ﷺ:**

**امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

صلاة الله علىٰ نبيِّه ﷺ فُسِّرت بثنائه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة عليه فُسِّرت بدعائهم له، فسَّرها بذلك أبو العالية كما ذكره عنه البخاري في صحيحه، وفُسِّرت صلاة الله عليه بالمغفرة وبالرحمة(٢).

**صلاة الله على من صلى على النبي ﷺ:**

لحديث: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(٣).

وقال ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»(٤).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) الحافظ ابن حجر في الفتح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيِّدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا ربّ.

**ذهاب الهموم بسبب الصلاة على النبي ﷺ:**

عن أبي بن كعب أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إني أُكْثِر الصلاةَ فما أجعل لك من صلاتي؟ قال: «**مَا شِئْتَ**» قال: الثلث. قال: «**مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ**» - إلىٰ أن قال - أجعلُ لك كل صلاتي قال: «**إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ**»(١).

**والصلاة على النبي ﷺ، وإن كانت مشروعة بكلِّ حال إلا أن مشروعيتها تتأكد يوم الجمعة:**

فعن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»(٢).

**الدعاء**

---

(١) أخرجه أحمد وغيره.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٨) وأبو داود (٣/ ٣٧٠) والنسائي.

# (٥٦) الصحابة هم خير هذه الأمة

**أما بعد:**

الصحابة رضي الله عنهم: «كانوا أبرَّ قلوبًا، وأعمقَ علمًا، وأقلَّ تكلُّفًا، وأقربَ إلىٰ أن يوفَّقوا لما لم نوفَّقْ له نحن؛ لمَا خصَّهم الله تعالىٰ به من توقُّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسَعَة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوىٰ الربِّ تعالىٰ؛ فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزةٌ في فِطَرهم وعقولهم»[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمَّدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثُمَّ نظر في قلوب العباد بعد قلب محمَّدٍ فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العباد، فجعلهم وُزَراء نبيِّه ﷺ يقاتلون عن دينه»[(٢)].

لقد وصف ربُّنا -تبارك وتعالىٰ- صحابة رسول الله ﷺ بالعدالة، وأثنىٰ عليهم في آيات كثيرة منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ووجه الاستدلال بهذه الآية علىٰ عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن وسطًا بمعنىٰ: «عدولًا خيارًا»[(٣)].

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٩٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأولُّ مَن يدخل في هذه الخيرية من الأمَّة المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول، وهم الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨-٩].

فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسَّر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين، من الآيتين، حيثُ قال في خطبته يوم السقيفة مخاطِبًا الأنصار: «إنَّ اللهَ سمَّانا (الصادقين) وسمَّاكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنَّا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]»(١).

فالمهاجرون وصفهم الله بأنهم صادقون، والأنصار الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم علىٰ أنفسهم وصفهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنهم مفلحون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

(١) «العواصم من القواصم»، لابن العربي (ص٦٢).

ٱلْكُفَّارِ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا ربّ.

وقد أثنىٰ النبي ﷺ علىٰ الصحابة وعدلهم وزكاهم في أحاديث كثيرة منها:

قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِينَهُ، ويَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ، أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

**أمثلة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:**

**أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقرأه قرآنًا.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

**وهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ»(١).

**وهذا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تستحي منه الملائكة:**

عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) صحيح مسلم.

**وهذا عليٌّ يحبُّ الله ورسوله:**

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**»، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ، حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(١).

**الدعاء**

---

(١) صحيح مسلم.

# (٥٧) فضل صلة الرحم

**أما بعد:**

لقد أمر الله بصلةِ الأرحام والبر والإحسان إليهم، ونهىٰ وحذَّر عن قطيعتهم والإساءة إليهم، وعدَّ ﷺ قطيعة الأرحام مانعًا من دخول الجنة مع أوَّل الداخلين.

وصلةُ الرَّحم من الحقوق العشرة التي أمر الله بها أن تُوصَل في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، وهم المعنيُّون بقول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في سورة الأنفال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال: ٧٥].

وأقربهم: الآباءُ والأمهاتُ والأجدادُ والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال لمَّا سأله سائل قائلًا: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: «**أُمَّكَ**». قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «**أُمَّكَ**». قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «**أُمَّكَ**». قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «**أَبَاكَ**»(١).

والأحاديث في ذلك كثيرة. أما أقارب الزوجة: فليسوا أرحامًا لزوجها إذا لم يكونوا من قرابته، ولكنهم أرحام لأولاده منها. انتهىٰ.

---

(١) متفق عليه.

وأما حدود صلة الرحم فإنها خاضعة للعُرف؛ إذ لم يرد عن الشرع فيها حدٌّ معيَّن، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم: صلة الرحم هي الإحسان إلىٰ الأقارب علىٰ حسب الواصل والموصول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة تكون بالزيارة، والسلام، وغير ذلك،انتهىٰ.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٢).

## صلة الرحم تزيد الأرزاق:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الرزق نوعان: أحدهما: ما علمه الله أن يرزقه فهذا لا يتغير. والثاني: ما كتبه وأعلمَ به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب.

## صلة الرحم وصل بالرحمن:

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكِ**»(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

**صلة الرحم طاعة لله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].

**قاطع الرحم ملعون في كتاب الله:**

**قال علي بن الحسين لولده:** يا بنيَّ لا تصحبن قاطع رحم؛ فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاثة مواطن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧].

**قاطع الرحم تُعجَّل له العقوبة في الدنيا، ولَعذاب الآخرة أشد وأبقى:**

عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيِّدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### قطيعة الرحم تحجب الجنة:

وعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»(١).

كان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُنفِق علىٰ ابن خالته؛ لأنه كان فقيرًا، ولمَّا كان حديث الإفك عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تكلَّم عنها ابن خالته مع مَن تكلموا في حقِّها، فلما بلغ ذلك أبا بكر قطع عليه النفقة، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

**قال أبو بكر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بلىٰ!! أي: بلىٰ أُحِبُّ أن يغفر الله لي وأن يعفو عني، فردَّ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النفقة التي كان ينفقها عليه رغْمَ ما كان منه في حقِّ أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أن رجلًا قال:** يا رسول الله! إنَّ لي قرابة أَصِلُهم ويقطعونني، وأُحسن إليهم ويُسيئون إليَّ، وأَحْلُم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

كما قال النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»(١).

إن صلة الرحم ليست في أن يكتفي الإنسان بصلة مَن وصله، فهذه تسمَّىٰ مكافأة... بل أعظم ما يكون من الصلة هي في وصل مَن حصلت منه القطيعة.

**الدعاء**

(١) رواه البخاري.

# (٥٨) حق الوالدين

إنَّ من أبرز صفات المسلم برّه بالوالدين والإحسان إليهما؛ ذلك أن برَّ الوالدين أمرٌ من أَجَلِّ الأمور التي حضَّ عليها الإسلام، فقد جاءت آيات كثيرات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ تُبيِّن أنَّ مرضاة الوالدين بعد مرضاة الله، وتذكر الإحسان إلىٰ الوالدين بعد الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وأن لا يُنتهروا، وأن يُخفض لهما جناح الذُّلِّ من الرحمة فيما ليس فيه معصية الله تعالىٰ، وبرُّ الوالدين ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف واجب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

### وكثيرًا ما تتكرر الوصية بالوالدين في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

فكلُّ ما أرضىٰ الوالدين فإنه داخل في البر، وكلُّ ما يُسخِطهما فهو عقوق، ولكن ذلك مقيَّد في غير معصية الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦].

**ولم ترد الوصية بالأبناء إلا مرة واحدة في كتاب الله عز وجل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

**بر الوالدين من أحبِّ الأعمال إلى الله:**

**عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:** سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أحبّ إلىٰ الله تعالىٰ قال: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**» قلت: ثُم أي؟ قال: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قلت: ثُمَّ أي؟ قال: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[1].

(١) متفق عليه.

**عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:**

**عن أبي بكرة نفيع بن الحارث** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**؟ ثَلَاثًا» قلنا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، وكان متَّكئًا فجلس فقال: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»، فما زال يكرِّرها حتىٰ قلنا: ليته سكت[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ**»[(٢)]، وعن رسول الله ﷺ قال: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ؛ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ؛ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[(٣)].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**متى يكافئ الولد والده؟**

**عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ**

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.

مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»[(١)].

**بر الوالدين من أسباب دخول الجنة:**

قال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»[(٢)].

**الدعاء**

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

# (٥٩) حق الأبناء على الوالدين

**أما بعد:**

لقد حثَّ الإسلامُ علىٰ تربيةِ الأولاد، ومحاولة وقايتهم من النارِ فقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

**ومدح الله عباد الرحمن بأنَّهم يقولون:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

ومن السُّنة يقولُ ﷺ: «**الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**»(١).

**قال أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين:**

**وروي عن عُمَرَ رضي الله تعالىٰ عنه أن رجلًا جاء إليه بابنه فقال**: إن ابني هذا يعقّني، فقال عمر رضي الله تعالىٰ عنه للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك؟ فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أما للابن علىٰ والده حق؟ قال: نعم، حقه عليه أن يستنجب أمَّه ـ يعني: لا يتزوج امرأة دنيئة؛ لكيلا يكون للابن تعيير بها ـ وحسن اسمه، ويعلمه

(١) البخاري ومسلم والترمذي.

الكتاب، فقال الابن: فوالله ما استنجَبَ أمِّي، ولا حسَّن اسمي، سمَّاني جُعْلًا، ولا علَّمني من كتاب الله آية واحدة، فالتفت عمر رضي الله تعالىٰ عنه إلىٰ الأب وقال: تقول ابني يعقني! فقد عققته قبل أن يعقَّك. اهـ.

ويقول الدكتور محمد الزحيلي في كتاب «حقوق الأولاد علىٰ الوالدين في الشريعة الإسلامية»: قال بعض أهل العلم: (إن الله ﷻ يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة علىٰ وصية الأولاد بآبائهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٣١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: ١١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي النُّحْلِ، كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ**» عن النعمان بن بشير(١).

**فقد نص أهل العلم على أن للأبناء حقوقًا على آبائهم من جملتها:**

**١- اختيار الأم من ذوات الدين والخلق:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٣٨) رقم (٨٤٥)، وابن حبان (٥١٠٤)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٧٨). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٤٦).

(٢) متفق عليه.

**٢- اختيار الأسماء الحسنة:**

ففي الحديث الصحيح: «**أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ اللهِ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ**»(١).

**قال ابن عثيمين:**

«أصدق الأسماء؛ لأنها مطابقة للواقع، فكلٌّ واحد من بني آدم فهو حارث يعمل، وكل واحد من بني آدم فهو همَّام يهمُّ وينوي ويقصد وله إرادة»(٢).

**٣- النفقة على الأبناء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمَّدٍ وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**٤- حسن التربية:**

قال رسول الله ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء (٤٩٥٠) وعند مسلم بلفظ: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**». كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بابي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء (٢١٣٢).

(٢) «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين، دار الوطن.

**عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»[١].

**٥- العدل بينهم:**

عن النعمان بن بشير قال: تصدَّق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي (عمرة بنت رواحة): لا أرضىٰ حتىٰ تُشْهِد رسولَ الله ﷺ، فانطلق أبي إلىٰ النبي ﷺ ليُشْهِدَه علىٰ صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلِدِكَ كُلِّهِمْ؟**» قال: لا، قال: «**اتَّقُوا اللهَ...**» الحديث. وفي رواية: «قال: **لَا**، قال: **فَلَا تُشْهِدْنِي إِذَنْ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَىٰ جَوْرٍ**»[٢].

**والعدل بين الأبناء له صور متعددة، ويدخل فيها العدل بين الأبناء في الميراث:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١].

**الدعاء**

---

(١) حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣٢)، والنسائي (٢/ ١٣٢)، وأحمد (٤/ ٢٦٨).

# (٦٠) حق الزوج

**أما بعد:**

فإن الله تعالىٰ أمر عباده بالوفاء بالعقود بجميع أنواعها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

**وإن من أغلظ العقود وآكدها عقد النكاح، ولذلك قال الله عنه:** ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

ومن موجبات الوفاء بعقد النكاح أداء الحقوق بين الزوجين، فالزوج مُلزَم بذلك، والزوجة ملزَمة به كذلك، وهذه الحقوق تتنوع بحسب مَن تنسب إليه، ومن أهمِّها:

١- **حقوق الزوج علىٰ زوجته:** فحقُّ الزوج علىٰ الزوجة من أعظم الحقوق، بل إن حقه عليها أعظم من حقِّها عليه؛ لقول الله تعالىٰ:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨].

**قال الجصاص:** أخبر الله تعالىٰ في هذه الآية أنَّ لكل واحد من الزوجين علىٰ صاحبه حقًّا، وأن الزوج مختص بحق له عليها ليس لها عليه، انتهىٰ.

**ومن حقوق الزوج على زوجته:**

**١- الاستمتاع بالزوجة:**

فعلىٰ الزوجة تسليم نفسها له، وتمكينه من الاستمتاع بها؛ لأن الزوج يستحق بالعقد تسليم العوض عما أصدقها وهو الاستمتاع بها، كما تستحق المرأة العوض وهو الصداق، ومتىٰ ما طلب الرجل زوجته وجب عليها طاعته في ذلك ما لم يمنعها

منه مانع شرعي، أو مانع في نفسها كمرض ونحوه، وقد رتَّب الشارع الثواب الجزيل علىٰ طاعة الزوج في المعروف، كما رتَّب الإثم العظيم علىٰ مخالفة أمر الزوج ما دام يأمر بالمعروف، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**»(١)، وفي رواية لهما: «**إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**»، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَتَأْبَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهَا**». ووجوب طاعته مقيَّد بألا يكون في معصية: فلا يجوز للمرأة أن تطيعه فيما لا يحلّ مثل أن يطلب منها الوطء في زمان الحيض أو غير محلّ الحرث.

**٢- من حق الزوج التأديب عند النشوز والخروج على طاعته:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

**٣- ومن حق الزوج على زوجته ألا تصوم تطوعًا إلا بإذنه:**

فقد نهىٰ النبي ﷺ الزوجة أن تصوم تطوعًا وزوجها شاهد إلا بإذنه.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»(٢).

والحديث يعني إذا كانت الزوجة لا تعلم رضا الزوج به، أما لو علمت رضا الزوج بذلك فلا حرج عليها إذا كان من محارمها.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).

**٤- ومن حق الزوج على زوجته عدم الخروج من البيت إلا بإذن زوجها:**

فإن المرأة مأمورة بطاعة زوجها، وعدم الخروج من بيته إلا بإذنه اتفاقًا. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه، سواء أمرها أبوها أو أمُّها، أو غير أبويها، باتفاق الأئمة.

**٥- ومن حق الزوج أن تحفظه في نفسها وماله:**

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، تُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَلَا مَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ**»[(١)].

**٦- ومن حق الزوج على زوجته** أن تخدمه إذا كانت قادرة علىٰ ذلك؛ لأن النبي ﷺ قسَّم الأعمال بين عليٍّ وفاطمة؛ فجعل أعمال الخارج علىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والداخل علىٰ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مع أنها سيدة نساء العالمين، فإن كان لها خادم فعلىٰ الزوج نفقته.

**٧- ومن حق الزوج على زوجته** السفر بها والانتقال من بلد إلىٰ بلد؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يسافرون بنسائهم.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»، فقال رجل: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا، فقال له النبي ﷺ: «**انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**»[(٢)].

**الدعاء**

---

(١) رواه أحمد (٩٥٨٧)، والنسائي (٣٢٣١)، والحاكم (٢٦٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، برقم (٤٨٣٢)، مسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم، برقم (٢٣٩١).

# (٦١) حق الزوجة

**أما بعد:**

جعل الله العلاقة بين الزوجين من أوثق العلاقات التي عرَفتها البشرية، فربما لا يوجد علاقة بين اثنين مثلما يوجد بين الزوجين، وقد ربط الله - تعالىٰ - هذه العلاقة بالمودة والرحمة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

**وحقوق الزوجة على زوجها نبينها فيما يلي:**

**١- من حق الزوجة على الزوج المهر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ ﴾ [النساء: ٤].

**ولا يحل للزوج أن يأخذ شيئًا من مهرها إلا برضاها وطيب نفسها:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

**٢- ومن حقها عليه النفقة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ﴾ [النساء: ٣٤].

وقَالَ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الطلاق: ٧].

قال ابن هبيرة: اتفقوا علىٰ وجوب نفقة الرجل علىٰ مَن تلزمه نفقته؛ كالزوجة والولد الصغير والأب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

٣- **ومن حق الزوجة على زوجها** أن يقوم بإعفافها وذلك بأن يطأها، وقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة إلىٰ أنه يجب علىٰ الزوج أن يطأ زوجته، وذهب جمهور الفقهاء إلىٰ أنه لا يجوز للزوج أن يعزل عن زوجته الحرة بلا إذن منها.

- **ومن حقِّ الزوجة على زوجها البيات عندها**، وصرح الشافعية بأن أدنىٰ درجات السُّنة في البيات ليلة في كل أربع ليال اعتبارًا بمَن له أربع زوجات.

- **ومن حقِّها عليه القَسْم بالعدل إذا كان له أكثر من زوجة**، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيَّتُهنَّ خرج سهمها خرج بها معه، وكان يَقْسمُ لكل امرأةٍ منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة، تبتغي بذلك رضا رسول الله[1].

(١) متفق عليه.

**- وأما الحقوق المشتركة بين الزوجين وهي كالتالي:**

**أ- المعاشرة بالمعروف؛** فيجب علىٰ كلٍّ واحد منهما معاشرة الآخر بالمعروف.

**ب- الاستمتاع،** بأن يستمتع كلٌّ منهما بالآخر.

**ج- الإرث،** فيرث الزوج زوجته عند وفاتها كما ترث الزوجة زوجها عند وفاته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢].

**د- حفظ الأسرار وستر العيوب والصبر علىٰ الزلات.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

**الدعاء**

# (٦٢) حق الجار

**أما بعد:**

الجار هو من جاورك جوارًا شرعيًّا، سواءً كان مسلمًا أو كافرًا أو فاجرًا، صديقًا أو عدوًّا، مُحسنًا أو مُسيئًا، نافعًا أو ضارًّا، قريبًا أو أجنبيًّا، بلديًّا أو غريبًا، وله مراتب بعضها أعلىٰ من بعض تزيد وتنقص بحسب قرابته ودينه وتقواه ونحو ذلك، فيُعطىٰ بحسب حاله وما يستحق.

**الجوار المعتبر شرعًا:**

هو العُرف، والجار مفهومه شامل يشمل الجوار في العمل والمكتب والسوق والمسكن والسفر والزوجة وغيره. إن حقوق الجار عديدة وهي بالجملة دائرة علىٰ الإحسان إليه وكف الأذىٰ عنه.

**ففي الإحسان إليه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

**وعن ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالا:** قال رسول الله ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(١).

---

(١) متفق عليه.

**وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»(١).

**وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:** قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلىٰ أيهما أُهدي؟ قال: «**إِلَىٰ أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا**»(٢).

**وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدَكُمْ جَارُهُ أَنْ يَغْرِسَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ فَلَا يَمْنَعْهُ»**(٣).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**وعن كف الأذى:**

**عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»**(٤).

**وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ»** قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٥)، وفي رواية لمسلم: «**لَا**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤)متفق عليه.

(٥) متفق عليه

**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»، البوائق: الغوائل والشرور.

وقد نصَّ أهل العلم علىٰ تفاوت إثم الزنا كما هو الحال فيمن يزني بزوجة جاره، وكذا مَن يزني بإحدىٰ محارمه، ويدل عليه ما ورد في الحديث عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟**» قالوا: حرَّمه الله ورسوله فهو حرام إلىٰ يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ**». فقال: ما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرَّمها الله ورسوله فهي حرام. قال: «**لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ**»(١).

رُوي أن مالك بن دينار -رحمه الله تعالىٰ- كان له جار يهودي، فحوَّل اليهودي مستحمه إلىٰ جدار البيت الذي فيه مالك، وكان الجدار متهدِّمًا، فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كلَّ يوم، ولم يقل شيئًا، وأقام علىٰ ذلك مدة وهو صابر علىٰ الأذىٰ، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره علىٰ هذه المشقة، فقال له: يا مالك، آذيتُك كثيرًا وأنت صابر، ولم تُخبرني، فقال مالك: قال رسول الله ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»؛ فندِم اليهودي وأسلم(٢).

**الدعاء**

---

(١) رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله ثقات، كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٨)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٩٦). وقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**»، أخرجه: البخاري (٦/ ٢٢) (٤٤٧٧)، ومسلم (١/ ٦٣) (٨٦) (١٤١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «الإحياء» (٢/ ٢١٣). والحديث رواه البخاري- الفتح ١٠ (٦٠١٤). ومسلم (٢٦٢٥). ولهما اللفظ نفسه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

# (٦٣) أعداء الإنسان

**أما بعد:**

يعيش الإنسان في هذه الحياة في صراع دائم، وفي معركة مستمرة، وفي معاناة، وفي تعب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤﴾ [البلد: ٤].

وأكثر عدو للإنسان حذَّر منه القرآن الكريم هو الشيطان، فعداوة الشيطان للإنسان قديمة قِدَم الإنسان؛ فهو قد نصَب العداء له منذ أن خلق اللهُ آدم عليه السلام بيده، ونفَخ فيه مِن روحه، ثُمَّ أمَر الملائكة بالسجود له، فرفض الشيطان أن يسجد؛ حسدًا لآدم عليه السلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾ [الإسراء: ٦١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

لذا فقد أمرنا الله - تعالىٰ - بأن نتَّخذ الشيطان عدوًّا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦].

**وعداوة الشيطان لابن آدَم ظاهِرة، ومَسالِكه في ذلك كثيرة.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤].

وقال: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

**والعدو الثاني للإنسان هي نفسه التي بين جنبيه:**

**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:** قال أبو بكر: يا رسول الله، مُرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ قال: «**قُلِ: اللهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ. قَالَ قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨].

**قال ابن القيم:** وقد تقدم أن النفس مثلها كمثل رحىٰ تدور بما يُلقَىٰ فيها، فإن أَلقَيتَ فيها حبًّا دارت به، وإن ألقيتَ فيها زجاجًا وحصىٰ وبعرًا دارت به، والله سبحانه هو قيِّم تلك الرحىٰ ومالكها ومصرفها، وقد أقام لها ملكًا يلقي فيها ما ينفعها فتدور به، وشيطانًا يلقي فيها ما يضرها فتدور به، فالملك يلم بها مرة، والشيطان يلم بها مرة، فالحَبُّ الذي يُلقِيه الملك إيعادٌ بالخير وتصديق بالوعد، والحَبُّ الذي يُلقِيه الشيطان إيعادٌ بالشر وتكذيب بالوعد، والطَّحين علىٰ قدر الحَبِّ، وصاحب الحَبِّ المضر لا يتمكن من إلقائه إلا إذا وجد الرحىٰ فارغة من الحَبِّ، وقيِّمها قد أهملها وأعرض عنها، فحينئذٍ يبادر إلىٰ إلقاء ما معه فيها. انتهىٰ(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ

(١) رواه الترمذي، وأبو داود.

(٢) كتاب الفوائد.

وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٠-٥٣].

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠].

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

**العدو الثالث للإنسان هي الدنيا:**

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «**إِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا فَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلَكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، قال عقبة: «فكان آخر ما رأيتُ من رسول الله ﷺ على المنبر»(١)، وقال ﷺ: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ**»(٢).

وعن حكيم بن حزام أنه سأل النبي ﷺ فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فقال له النبي ﷺ: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**»(٣).

---

(١) الصحيحين.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) متفق عليه.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**العدو الرابع للإنسان: الهوى:**

إن الهوىٰ عدوُّ العلم والحق؛ إذ يقود صاحبه لارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وصاحب الهوىٰ ظالم لنفسه؛ فقد حرمها نعمة الإيمان، وحجبها عن نور المعرفة، فعاش حياة الخوف والفزع، وشحن بالحقد والحسد، وأغواه الشيطان فضلَّ عن سواء السبيل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وقد نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ نبيَّنا ﷺ من اتِّباع الهوىٰ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

(١) صحيح مسلم.

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَٰتِۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٨، ٤٩].

وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من اتِّباع الهوى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

وبيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن جزاءَ مَن نهى النفس عن الهوى الجنَّةَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

## الدعاء

# (٦٤) الوقاية من الشيطان

**أما بعد:**

عَلِم عدوُّ الله إبليسُ أن المدار على القلب والاعتماد عليه؛ فأجْلَب عليه الوساوسَ، وأقْبَل بوجوه الشهوات إليه، وزيَّن له من الأقوال والأعمال ما يصدُّه عن الطريق، وأمدَّه من أسباب الغيِّ بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصَبَ له من المصايد والحبائل ما إنْ سَلِم من الوقوع فيها لَم يسْلَمْ من أن يحصلَ له بها التعويق، فلا نجاة من مصائده ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعريض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته[1].

ولذا ينبغي للعاقل أن يعرف كيف يقي نفسه، وكيف يحصِّن نفسَه من الشيطان العدوِّ البيِّن في عداوته وإضلاله للإنسان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٥].

والوقاية من الشيطان لها عدد من العبادات التي يحصن العبد بها نفسه، نذكر منها:

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم.

**تحقيق العبودية لله رب العالمين، وأولها توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ والإيمان به والتوكل عليه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ: ٢٠-٢١].

**الإخلاص:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٣٩ – ٤٢].

**ذكر الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**ومن أسباب التحصين من الشيطان قراءة المعوذات:**

فالنبي ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكىٰ - أي: مَرِض - نَفَثَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا اشْتَكىٰ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ﷺ جَعَلَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَنْفُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﷺ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَتَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا(٢).

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري.

**آية الكرسي:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذتُه فقلت: لأرفعنَّك إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: - ذلك الشيطان اللص -: إذا أويتَ إلىٰ فراشك فاقرأْ آيةَ الكرسي، فإنه لن يزالَ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطان حتىٰ تُصبح، فقال النبي ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

**الدعاء**

---

(١) أخرجه البخاري.

# (٦٥) أشباه البشر

**أما بعد:**

من عجيب خلق الله تعالىٰ أنه خلق الخلق من حيثُ وجود الشهوة علىٰ ثلاثة أصناف:

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «قال قتادة: خلق اللهُ سبحانه الملائكة عقولًا بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلًا وشهوة، فمن غلَب عقلُه شهوتَه فهو مع الملائكة، ومن غلبَتْ شهوته عقلَه فهو كالبهائم»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

**وإليك هذه الأمثلة لطوائف من البشر، قلوبهم قلوب حيوانية في أجسام بشرية:**

**أولًا: فريق من البشر شبهوا بالأنعام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وهذا هو القلب المخذول المشحون بالهوىٰ المدنَّس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبواب الشياطين، المسدود عنه أبواب الملائكة، ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوىٰ ويهجس فيه، فينظر القلب إلىٰ حاكم العقل

(١) «عدة الصابرين» (١/ ١٥).

ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه، فيكون العقل قد أَلِفَ خدمة الهوىٰ وأَنِسَ به واستمرَّ علىٰ استنباط الحِيَل له وعلىٰ مساعدة الهوىٰ، فتستولي النفس وتساعد عليه، فينشرح الصدر بالهوىٰ، وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته، فيقوىٰ سلطان الشيطان لاتِّساع مكانه بسبب انتشار الهوىٰ؛ فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني، ويوحي بذلك زُخرفًا من القول غرورًا، فيضعُفُ سلطان الإيمان بالوعد والوعيد، ويخبو نورُ اليقين لخوفِ الآخرة؛ إذ يتصاعد عن الهوىٰ دُخَان مظلم إلىٰ القلب يملأ جوانبه حتىٰ تنطفِئ أنواره، فيصير العقل كالعين التي ملأ الدُّخَان أجفانها فلا يقدر علىٰ أن ينظر، وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتىٰ لا يبقىٰ للقلب إمكان التوقف والاستبصار، ولو بصره واعظٌ وأسمعه ما هو الحق فيه، عمِيَ عن الفهم، وصُمَّ عن السمع، وهاجت الشهوة فيه، وسطا الشيطان، وتحركت الجوارح علىٰ وَفْق الهوىٰ فظهرت المعصية إلىٰ عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالىٰ وقدره، وإلىٰ مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

### ثانيًا: فريق من البشر شُبِّهوا بالحمير:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥][1].

فإن وجه التشبيه بين أحبار اليهود الذين كُلِّفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا بذلك وبين الحمار الحامل للأسفار هو حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به

(١) إحياء علوم الدين.

مع الكدِّ والتعب في استصحابه. وهذا عامٌّ في كلِّ عالم لم ينتفع بعلمه كما بيَّن النبي ﷺ، فعن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَا، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»(١).

### ثالثًا: فريق من البشر شُبِّهوا بالكلاب:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

فكذلك العالم الفاجر؛ فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالىٰ، فأخلد إلىٰ الشهوات، فشبِّه بالكلب، أي: سواء أُوتي الحكمة أو لم يؤتَ فهو يلهَث إلىٰ الشهوات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

---

(١) متفق عليه.

**رابعًا: فريق من البشر شبهوا بالضأن:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٧١].

هذا تشبيه حالة الكافر بحالة راع الضأن ينادي عليها، فهي من حيث سماعها النداء تسمع، لكن من حيث تدبرها لما يقال لها لا تعي، فالنبي ﷺ كان يدعوهم ويرشدهم؛ فهم حال سماعه كحال الضأن تسمع ما تنادىٰ به، وهم يسمعون القرآن والآيات إلا أنهم لا ينتفعون كما أن الضأن لا تفقه كلام الراعي(١).

**خامسًا: التيس المستعار:**

وهو المحلل، ونكاح التحليل محرم ولا ينعقد، ولا يوجب تحليل المرأة المطلقة ثلاثًا.

**والدليل علىٰ هذا:** «أن النبي ﷺ لعَن المحلِّل والمحلَّل له» هذا الحديث له طرق كثيرة جدًّا لكن لا يخلو شيء من هذه الطرق من علة، وإنما الحديث يصح بمجموع طرقه، فيكون صالح للاستدلال باجتماع الطرق، وإلا في الحقيقة لا يوجد إسناد صحيح إلىٰ النبي ﷺ فيه اللعن لكن توجد أسانيد كثيرة يعضد بعضها بعضًا.

**الدليل الثاني:** أنه نقل عن أصحاب النبي ﷺ آثار كثيرة فيها النهي عن أن يتزوج الإنسان امرأة لمجرد التحليل.

**الدليل الثالث:** أن النبي ﷺ سمَّىٰ مَن يتزوج ليحلل المرأة بالتيس المستعار،

(١) سلسلة محاسن التأويل للمغامسي.

وحديث التيس المستعار ضعيف، ولا يثبت عن النبي ﷺ[١].

ولكن إن كان الحديث ضعيفًا إلا أن المحلل تشبَّه بالتيس في صنيعه.

فالحمد لله الذي وفَّقنا لتعلُّم كتابه واتباع نبيه ﷺ، ونسأله سبحانه أن يُثبِّتنا علىٰ الحق إلىٰ أن نلقاه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

**الدعاء**

---

(١) «شرح زاد المستقنع»، للخليل.

# (٦٦) الكبائر والصغائر

**أما بعد:**

الذنوب تنقسم إلىٰ صغائر وكبائر، والكبيرة ما اقترن بالنهي وعيد من لعن، أو غضب، أو عقوبة، وما لم يقترن به شيء فهو صغيرة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ يُكَفِّرْنَ مَا بَيْنَهُنَّ إِنِ اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**» وفي لفظ آخر: «**كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا الْكَبَائِرَ**»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد دلَّ القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة علىٰ أن من الذنوب كبائرَ وصغائر»(٢).

**أما عن عدد الكبائر:**

١- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي أربع.

٢- وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي سبع.

٣- وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي تسع.

٤- وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا بلغه قول ابن عمر: الكبائر سبع يقول: هُنَّ إلىٰ سبعين أقرب منها إلىٰ سبع.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) «الجواب الكافي» (ص٣٠٦).

٥- وقال آخر: هي إحدىٰ عشرة.

٦- وقال أبو طالب المكي: جمعتها من أقوال الصحابة فوجدتها أربعة في القلب وهي: الإشراك بالله، والإصرار علىٰ المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله. وأربعة في اللسان، وهي: شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاثة في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا. واثنين في الفرج: الزنا، واللواط. واثنين في اليدين وهما القتل والسرقة. وواحدًا في الرجلين وهو الفرار من الزحف. وواحدًا يتعلق بجميع الجسد وهو عقوق الوالدين[(١)].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**» قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**»[(٢)].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٧-١٨)، و«الجواب الكافي» (٣٠٨-٣٠٩).

(٢) متفق عليه.

**الموبقات المهلكات:**

**عن أبي بكرة نُفَيْعِ بن الحارث** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**» -ثلاثًا- قلنا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، وكان متَّكِئًا فجلس، فقال: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»، فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليتَهُ سكت(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ**»(٢).

**وأخيرًا قاعدة: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار:**

ذهب أكثر أهل العلم إلىٰ أن الإصرار علىٰ الصغيرة يُصيِّرها كبيرة، وبعض العلماء ذهب إلىٰ أن الإصرار علىٰ الصغيرة، لا يصيِّرُها كبيرة، واحتجُّوا بالنصوص المفرِّقة بين الكبائر والصغائر، كقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، وكقوله ﷺ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»(٣).

**الدعاء**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم (٢٣٣).

# (٦٧) اتباع الهوى

**أما بعد:**

اتباع الهوىٰ هو أصل كلِّ شرٍّ، وأساس كلِّ بلوىٰ، ومعتمد كلِّ بدعة، ولذلك فهو أشدُّ وطأة من الجهل؛ لأنَّ الجهل ميسورٌ علاجه، وفي استطاعة مَن يتلبس به، وذلك بطلب العلم والتفقه في الدين، أما الهوىٰ في أثناء طلب العلم أو بعد تحصيله فهو الآفة الخطيرة التي تحتاج إلىٰ مجاهدة النفس وعلاج الداء.

واتباع الهوىٰ من أعظم أسباب الضلال، وأسباب الهلاك؛ فإنه يَهوي بصاحبه إلىٰ الرَّدىٰ والمهالك، حتىٰ يُورده إلىٰ النار عياذًا بالله من النار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: ٢٩].

فطريق النجاة أن يسير الإنسان علىٰ كتاب ربِّه وعلىٰ سُنَّة نبيِّه ﷺ بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين. قال الشيخ صفوت الشوادفي -رحمه الله تعالىٰ- في أحد مقالاته في «مجلة التوحيد» ما حاصله: «السلف الصالح كانوا أكثر مِنَّا علمًا، وأقوىٰ منَّا إيمانًا، فكثرة علمهم تمنعهم من الوقوع في الجهل، وقوة إيمانهم تمنعهم من اتِّباع الهوىٰ».

**وقد ذمَّ الله ﷻ اتباع الهوى في آيات كثيرة، منها:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

«أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا في هوىٰ نفسه كان دينَه ومذهبَه»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

**ونهى الله ﷻ المؤمنين عن اتباع الهوى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

**وحذَّر الله ﷻ نبيَّه محمداً ﷺ والمؤمنين معه من اتباع الهوى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٣٥).

عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

**وحذَّر تبارك وتعالى نبيَّه داود من اتباع الهوى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**وبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أن من أسباب تكذيب الكافرين وضلالهم هو اتباع الهوى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد: ١٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ

ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد: ١٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ [القمر: ٣].

**وبين تبارك وتعالى أن أهل الكتاب لن يرضوا عن نبينا محمد ﷺ والمسلمين حتى يتركوا الحق الذي معهم ويتبعوا أهواءهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

**الدعاء**

# (٦٨) كبيرة الخمر

**أما بعد:**

العقل نعمة من نِعَم الله الجليلة، فهو الذي يميِّز به المرءُ بين الهدىٰ والضلال، والخير والشر، والطيب والخبيث.

والعقل هو مناطُ التكليف، وبه فضَّل الله الإنسان علىٰ بقية أنواع الحيوان؛ لذا حرصت الشريعة الإسلامية علىٰ تحريم كلّ ما يضرُّ بالعقل. فحرمت الخمر وكلَّ مسكر.

ولذا فسيكون الحديث عن هذا الموضوع إن شاء الله تعالىٰ في عدَّة عناصر.

**أولًا: تحريم الخمر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠- ٩٢].

عن ابن عمر رَضِّيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»(١).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل(٢).

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

## ثانيًا: مراحل تحريم الخمر:

**قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «التدرُّج في التشريع حتىٰ يصل إلىٰ درجة الكمال، كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه وألِفُوه، وكان من الصعب عليهم أن يُجابهوا بالمنع منه منعًا باتًّا؛ فنزل في شأنه أولًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه؛ حيث إن العقل يقتضي أن لا يمارس شيئًا إثمه أكبر من نفعه.

**ثمَّ نزل ثانيًا قوله تعالىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان في هذه الآية تمرين علىٰ تركه في بعض الأوقات، وهي أوقات الصلوات.

**ثم نزل ثالثًا قوله تعالىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩٢].

## ثالثًا: تحريم بيع الخمر:

روىٰ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ**»(١).

---

(١) رواه مسلم برقم (١٥٨١).

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ**»[١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «لعَنَ رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصِرَها، ومعتصرها، وشارِبَها، وحامِلَها، والمحمولةَ إليه، وساقِيَها، وبائِعَها، وآكِلَ ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له»[٢].

ورُوي هذا من حديث ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم بألفاظ أخرىٰ مقاربة، والأحاديث في الباب كثيرة معلومة.

**قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:** «فأما تحريم بيع الخمر؛ فيدخل فيه تحريم بيع كل مسكر، مائعًا كان، أو جامدًا، عصيرًا، أو مطبوخًا».

**رابعًا: شارب الخمر يرتفع عنه الإيمان:**

عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَىٰ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا رُءُسَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[٣].

**خامسًا: الخمر مفتاح كلّ شر:**

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتِسْعٍ: «**لا تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ، وَلا تَتْرُكَنَّ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ مُتَعَمِّدًا؛ وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ، وَلا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**»[٤].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٤٨٨)، وأحمد (١/ ٢٤٢).

(٢) رواه الترمذي.

(٣) متفق عليه.

(٤) حسنه الألباني.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيِّدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرِّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**عقوبة شارب الخمر:**

وعقوبة شارب الخمر تنقسم إلىٰ عقوبة دنيوية، وعقوبة أخروية.

**أما عن عقوبة مَن شرب الخمر في الدنيا:**

**عن السائب بن زيد قال:** كنا نُؤتَىٰ بالشارب في عهد رسول الله ﷺ، وفي إمْرة أبي بكر، وصدْر من إمارة عمر، فنتقدم إليه فنضربه بأيدينا ونعلنا وأرديتنا، حتىٰ إذا عَقّوا فيها وفسدوا جلد عمر ثمانين[(١)].

**عقوبة مَن شرب الخمر في الآخرة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهُ فِي الْآخِرَةِ**»[(٢)].

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلًا من جيشان -وجيشان من اليمن- سأل النبي ﷺ عن

(١) رواه أحمد والبخاري.

(٢) رواه الحاكم وابن عساكر، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة.

شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المِزْرُ. فقال: «**أَمُسْكِرٌ هُوَ؟**»، قال: نعم. فقال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**».

«**إِنَّ اللهَ عَهِدَ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ**». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»(١).

**الدعاء**

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي.

# (٦٩) كبيرة الربا

**أما بعد:**

**الربا في اللغة: هو الزيادة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢].

أي: أكثر عددًا يقال: (أربىٰ فلان علىٰ فلان، إذا زاد عليه)(١).

وأصل الربا الزيادة، إما في نفس الشيء، وإما مقابله كدرهم بدرهمين، ويطلق الربا علىٰ كل بيعٍ محرم أيضًا(٢).

**تعريف الربا شرعًا:**

هو الزيادة في بيع شيئين يجري فيهما الربا(٣).

وهو يطلق علىٰ شيئين: يُطلَق علىٰ ربا الفضل، وربا النسيئة(٤).

**مراحل تحريم الربا:**

وذلك أن الربا مرَّ بمراحل أربع في التحريم كالمراحل التي مرَّ بها تحريم الخمر وهي:

---

(١) «لسان العرب»، لابن منظور، (١٤/ ٣٠٤)، و«النهاية» لابن الأثير، (٢/ ١٩١)، و«المغني» لابن قدامة، (٦/ ٥١).

(٢) «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم»، (١١/ ٨)، و«فتح الباري» لابن حجر، (٤/ ٣١٢).

(٣) «الشرح الممتع» لابن عثيمين، (٨/ ٣٨٧).

(٤) «المغني» لابن قدامة، (٦/ ٥٢)، و«فتح القدير» للشوكاني، (١/ ٢٩٤).

**المرحلة الأولى:**

**أولُّ ما نزل في الربا قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩].

وليس في هذه الآية نصٌّ علىٰ تحريم الربا، وإنما إشارة إلىٰ أن الله يمحق الربا فلا ينمو ولا يبارك الله فيه، بخلاف الزكاة التي يراد بها وجه الله، فإنه سبحانه يضاعف الثواب لصاحبه.

**المرحلة الثانية:**

قوله تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١].

وكما بيَّن في المرحلة الثانية من تحريم الخمر أن فيه إثمًا وفيه منافع، وأن الإثم أكبر من النفع، فإنه هنا في المرحلة الثانية من تحريم الربا أشار إلىٰ أنَّ مِن معاصي اليهود أكلهم الربا وقد نُهوا عنه، وفي ذلك إشارة إلىٰ أنه إذا كان أكل الربا والتعامل به محرمًا علىٰ اليهود، فأولىٰ أن يكون كذلك بين المسلمين وهم خير أمة أخرجت للناس، وهو تحريم بالتلويح والتعريض لا بالنص الصريح(١).

**المرحلة الثالثة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

---

(١) منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام، مصطفىٰ الباجقني (ص٢٧٦).

فحرم الربا علىٰ مرحلتين كما حرم الخمر علىٰ مرحلتين، وإذا كان تحريم الخمر بدأ بتحريمه في أوقات معينة فإن تحريم الربا بدأ بتحريم نسبة منه معينة، وهي ما كانت أضعافًا مضاعفة تمهيدًا لتحريمه كله في المرحلة الأخيرة.

**المرحلة الرابعة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩][(١)].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**عقوبة من تعامل بالربا: لقد وردت تحذيرات شديدة وعقوبات رادعة لمن ارتكب كبيرة الربا.**

**ففي كتاب الله ﷻ وردت آيات كثيرة تحذر من الربا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن

(١) «دراسات في علوم القرآن» لفهد الرومي.

رَبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وفي سنة النبي ﷺ وردت أحاديث كثيرة تحذِّر من الربا نذكر منها.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لعن رسول الله ﷺ: آكِلَ الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه»، وقال: «**هُمْ سَوَاءٌ**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَآكِلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»(٢).

---

(١) مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب لعن آكل الربا ومؤكله، برقم ١٥٩٧.

(٢) البخاري، كتاب الوصايا.

**عقوبة الربا في القبر:**

عن سمُرَة بن جُنْدَب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ، وَعَلَىٰ وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرُدَّ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَىٰ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا**»(١).

**الدعاء**

(١) البخاري، كتاب البيوع، باب موكل الربا، برقم (٢٠٨٥).

# (٧٠) كبيرة الكذب

**أما بعد:**

**حقيقة الكذب**: هو إيهام الشيء بخلاف ما هو عليه، والطرف المقابل لا يعلم ذلك، أو بمعنىٰ آخر: الكذب المحرم شرعًا هو الخداع الذي يُفوِّت حقًّا أو يُثبِت باطلًا، والصِّدق: طريق البر والجنة علىٰ عكس الكذب الذي هو طريق الفجور والنار، والكذب يغرس الضغينة ويرفع الثقة، ويورث الريبة بفعل التلوُّن والتغيُّر وعدم الثبات الذي يتصف به الكاذب، ومن هذا المنطلق كان من لوازم الصِّدق ترك كل آفات اللسان: كالهمز، واللمز، والقيل، والقال، وكثرة السؤال.

**وأعظم الكذب هو الكذب على الله عَزَّ وَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠].

**ومن أعظم الكذب، الكذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَىٰ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

---

(١) متفق عليه.

**عقوبات الكذب:**

**الكذب لا يفلح صاحبه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

**الكذب سبب حرمان نعمة الهداية:**

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨].

**الكذب سبب للطرد من رحمة الله:**

عَن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[(١)].

**الكذب دليل على نفاق صاحبه العملي:**

وقال ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ وَإِنْ صَلَّىٰ وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهَا كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذا خَاصَمَ فَجَرَ**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) الصحيحين.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمَّدٍ وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**عقوبة الكذاب في القبر:**

وَفِي حَدِيث مَنَام النَّبِي ﷺ قَالَ: «**فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ لِقَفَاهُ وَآخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ يُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَصِحَّ مِثْلَ مَا كَانَ فَيَفْعَلُ بِهِ كَذَلِكَ إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَةِ، فَقُلْتُ لَهُمَا: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَا: إِنَّه كَانَ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ**»(١).

**عقوبة الكذاب في الآخرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

قَالَ ابْن الْجَوْزِيّ فِي تَفْسِيره: وَقد ذهب طَائِفَة من الْعلمَاء إِلَىٰ أَن الْكَذِب علىٰ الله وعَلىٰ رَسُوله كُفرٌ ينْقل عَن الْملَّة، وَلا رَيب أَن الْكَذِب علىٰ الله وعَلىٰ رَسُوله فِي تَحْلِيل حرَام وَتَحْرِيم حَلَال كفر مَحْض(٢).

**الدعاء**

---

(١) البخاري.

(٢) «الكبائر» للذهبي.

# (٧١) كبيرة الغيبة

**أما بعد:**

**معنى الغيبة لغة:**

والغيب والغيبة، بِفَتْح الْغَيْن: كلُّ مَا غَابَ عَن الْعُيُون سَوَاء كَانَ محصلًا فِي الْقُلُوبِ أَو غير مُحَصل[(١)].

**والغِيبة**: الوَقيعة في النَّاس من هذا؛ لأنَّها لا تقال إلا في غَيْبَة[(٢)].

يقال: اغتابه اغتيابًا إذا وقع فيه، والاسم الغيبة، وهي ذكر العيب بظهر الغيب[(٣)].

**والغيبة اصطلاحًا:** عرَّفها النبي ﷺ كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرُهُ**» قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[(٤)].

قال ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشّخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو ماله. وقال الرَّاغب: هي أن يذكر الإنسان عيب غيرِه من غير محوج إلىٰ ذكر ذلك.

---

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، للعيني (٨/ ٢٠٨).

(٢) «معجم مقاييس اللغة»، لابن فارس (٤/ ٤٠٣).

(٣) «بهته»، أي: قلت فيه البهتان وهو الباطل. مسلم (٢٥٨٩).

(٤) رواه أحمد.

وقال ابن الأثير: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه.

وقال ابن التّين: الغيبة ذكر المرء ما يكرهه بظهر الغيب[١].

واعلم أن الغيبة تزداد قبحًا وإثمًا بحسب ما تؤدي إليه، فغيبة العامَّة من الناس ليست كغيبة العالم، أو ليست كغيبة الأمير أو المدير أو الوزير أو ما أشبه ذلك؛ لأن غيبة ولاة الأمور صغيرًا كان الأمر أو كبيرًا أشد من غيبة من ليس لهم إمرة وليس له أمر ولا ولاية؛ لأنك إذا اغتبت عامَّة الناس إنما تسيء إليه شخصيًّا فقط، أما إذا اغتبت مَن له أمر فقد أسأت إليه وإلىٰ ما يتولاه من أمور المسلمين، مثلًا: فُرِض أنك اغتبت عالمًا من العلماء، هذا لا شكَّ أنه عدوان عليه شخصيًّا كغيره من المسلمين، لكنك أيضًا أسأت إساءة كبيرة إلىٰ ما يحمله من الشريعة، رجل عالم يحمل الشريعة، إذا اغتبته سقط من أعين الناس، وإذا سقط من أعين الناس لن يقبلوا قوله، ولم يأتوا إليه يرجعون إليه في أمور دينهم، وصار ما يطلبه من الحق مشكوكًا فيه؛ لأنك اغتبته، فهذه جناية عظيمة علىٰ الشريعة.

كذلك الأمراء، إذا اغتبت أميرًا أو ملكًا أو رئيسًا أو أشبه ذلك ليست هذه غيبة شخصية له فقط، بل هي غيبة له وفساد لولاية أمره؛ لأنك إذا اغتبت الأمير أو الوزير أو الملك معناها: أنك تشحن قلوب الرعية علىٰ ولاتهم، وإذا شحنت قلوب الرعية علىٰ ولاة أمورهم فإنك في هذه الحال أسأت إلىٰ الرعية إساءة كبيرة؛ إذ إن هذا سبب لنشر الفوضىٰ بين الناس، وتمزق الناس وتفرق الناس، واليوم يكون رميًا بالكلام، وغدًا يكون رميًا بالسهام؛ لأن القلوب إذا شحنت وكرهت ولاة أمورها، فإنها لا

(١) انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٤٨٤).

يمكن أن تنقاد لأوامرهم، إذا أمرت بخير رأته شرًّا[(١)].

والغيبة كبيرة من الكبائر كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري».

**ذم الغيبة والنهي عنها في القرآن والسنة:**

**أولًا: في القرآن:**

ورد النهي عن الغيبة في عدد من آيات القرآن الكريم منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

**ثانيًا: النهي عن الغيبة في سنة النبي ﷺ:**

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنْهُمَا أنه قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ علىٰ قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَما يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»، ثمَّ قَالَ: «**بَلَىٰ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فكانَ يَسْعَىٰ بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**». قَالَ: ثُمَّ أَخذَ عُودًا رَطْبًا فكَسَرَهُ باثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كلَّ وَاحِدٍ مِنهُمَا عَلَىٰ قَبْرٍ ثُمَّ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[(٢)].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»[(٣)].

(١) «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين.

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢). وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٣٤).

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم النحر بمنىٰ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»(١).

وكما أن الغيبة محرمة، إلا أنها مباحة بضوابطها لغرض شرعي صحيح لا يمكن الوصول لهذا الغرض إلا بهذه الغيبة، وهي موجودة في كتاب رياض الصالحين لمن أراد الوقوف عليها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### عقوبة المغتاب:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) رواه أحمد (١٣٣٤٠)، وأبو داود (٤٨٧٨).

**التوبة من الغيبة:**

وطريق التوبة بالنسبة لمن اغتاب المسلمين هو أن يتحلَّله ويطلب منه العفو إذا أمِنَ الفتنة، أما إذا كان هذا يسبب الشحناء أو يسبب منكرًا آخر أو فتنة، فإن المغتاب يذكره بالخير الذي فيه في المجالس التي ذكره فيها بسوء، ويرد عنه الغيبة بجهده وطاقته، فتكون تلك بتلك إن شاء الله، مع مراعاة شروط التوبة، وبالله التوفيق[(١)].

**الدعاء**

(١) انظر: «تطهير العيبة من دنس الغيبة» (ص٦٢).

# (٧٢) الفساد وأنواعه

**أما بعد:**

خلق الله ﷻ الأرض وأنشأها علىٰ أحسن حال، إلىٰ أن تدخَّل فيها البشر، فغيَّروا وبدَّلوا وأفسدوا، فانطلقت حركة النبوَّات فيها، ومضىٰ رسل الله تعالىٰ في مهمَّتهم الرسالية الكبرىٰ لإصلاح الأرض بعد فسادها، فكانوا حربًا علىٰ الفساد بكلِّ أنواعه وأشكاله، وعملوا علىٰ نشر الفضيلة وقِيَم الخير في مواجهة الفساد والطغيان.

ولقد بيَّن الإسلام خطورة ظاهرة الفساد في الدنيا، والعواقب الوخيمة لها في الآخرة، ليرتدع الناس عن الإقدام عليها ولينتهوا عنها، ولقد جاء الإسلام آمرًا بكل خير للعباد، ناهيًا عن كل شرٍّ، فأمر بالرحمة والعدل والإحسان، ونهىٰ عن الفساد والظلم والعدوان.

**وينقسم هذا الموضوع إلى عناصر منها:**

**النهي عن الفساد:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

## النهي عن اتباع المفسدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: ١٥١ - ١٥٢].

## بعض صور الفساد:

## الكفر والصد عن سبيل الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

## الصد عن سبيل الله أعظم من القتال في الأشهر الحرم:

**لقوله تعالىٰ:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فكلُّ من صدَّ عن الخير فهو صادٌّ عن سبيل الله؛ ولكن هذا الصدُّ يختلف باختلاف ما صدَّ عنه؛ من صدَّ عن الإيمان فهو أعظم شيء مثل مشركي قريش؛ ومَن صدَّ عن شيء أقل، كمن صدَّ عن تطوع مثلًا فإنه أخف؛ ولكن لا شك أن هذا

جرم؛ فالنهي عن المعروف من صفات المنافقين.

**النفاق:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٢].

عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١] هم المنافقون. أما ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، فإن الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالىٰ عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**»(١).

هذه أربع خصال إذا اجتمعت في الإنسان صار منافقًا، وإذا وُجِدت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق.

**والمراد بالنفاق هنا:** النفاق العملي وليس النفاق الاعتقادي، والنفاق العمليُّ هو الذي لا يخرج من الملة، والنفاق الاعتقادي هو النفاق المخرج من الملة، وهو الذي أصحابه مخلدون في النار، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥].

**قتل النفس:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»؛ فَذَكَرَ قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم..

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمَّد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب، ومن أنواع الفساد أيضًا: **بَخْس الميزان وتطفيفُ المكيال.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: ٨٥].

عدَّ ابن حجر التَّطفيف من الكبائر وجعله شاملًا لبخس، نحو الكيل أو الوزن أو الزرع، وذلك لأنَّه من أكل أموال النّاس بالباطل؛ ولهذا اشتدّ الوعيد عليه كما علمته من الآية والأحاديث، وأيضًا فإنّما سمِّي مطفِّفًا؛ لأنَّه لا يكاد يأخذ إلَّا الشَّيء الطّفيف وذلك ضرب من السّرقة والخيانة مع ما فيه من الإنباء عن عدم الأنفة والمروءة بالكلِّيَّة، ومن ثَمَّ عوقب بالويل الّذي هو شدَّة العذاب، أو الوادي في جهنَّم لو سيِّرت

(١) متفق عليه.

فيه جبال الدّنيا لذابت من شدَّة حرِّه، نعوذ بالله منه، وأيضًا فقد شدَّد الله تعالىٰ عقوبة قوم شعيب- علىٰ نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسَّلام- علىٰ بخسهم المكيال والميزان(١).

**قطع الرحم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢].

**قال ابن الأثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «القطيعة: الهِجْران والصَّدُّ، وهي فعلية، من القطع، ويُريدُ به ترك البرِّ والإحسان إلىٰ الأهل والأقارب، وهي ضدُّ صلة الرحم»(٢).

**وقطيعة الرحم اصطلاحًا:** هجر القريب، وترك وصله، والإحسان إليه(٣).

**الإسراف:**

**معنى الإسراف لغة:**

**قال ابن منظور:** «السرف والإسراف: مجاوزة القصد. وأسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأما السرف الذي نهىٰ الله عنه، فهو ما أنفق في غير طاعة الله، قليلًا كان أو كثيرًا. والإسراف في النفقة: التبذير»(٤).

**معنى الإسراف اصطلاحًا:**

**الإسراف:** هو صرف الشيء فيما لا ينبغي زائدًا علىٰ ما ينبغي(٥).

---

(١) «الزواجر»، لابن حجر (٣٣٤).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٨٢).

(٣) «لغة الفقهاء» (ص ٣٣٥).

(٤) «لسان العرب»، لابن منظور (٩/ ١٤٨).

(٥) «الكليات»، للكفوي (ص١١٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠].

**ارتكاب الفواحش:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨-٣٠].

**عن أنس قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِي خَمْسًا فَعَلَيْهِمُ الدَّمَارُ: إِذَا ظَهَرَ التَّلَاعُنُ**(١)**، وَشَرِبُوا الْخُمُورَ، وَلَبِسُوا الْحَرِيرَ، وَاتَّخَذُوا الْقِيَانِ**(٢)**، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ**(٣)**، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ**(٤)»(٥).

**الدعاء**

---

(١) من اللعنة، والمراد: يلعن بعضهم بعضًا كما يفعله الفساق اليوم؛ حيث أصبحت تحيتهم اللعن، أو أن يُلعن أول هذه الأمة.

(٢) أي: المغنيات.

(٣) كناية عن الفاحشة.

(٤) كناية عن السحاق.

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧٧و٤/ ٣٧٧)، وقال شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/ ٤٦٦): «حسن لغيره».

# (٧٣) عاقبة المفسدين

**أما بعد:**

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجِّح خير الخيرين، وتدفع شرَّ الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما. وقد أمر الله تعالىٰ عباده بأن يبذلوا غاية وسعهم في التزام الأصلح فالأصلح واجتناب الأفسد فالأفسد، وقد حذَّرنا الله من اتِّباع سبيل المفسدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقد تواترت النصوص الشرعية في الكتاب والسُّنة النبوية في الحديث عن المفسدين، وأمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن ننظر ونتأمل ونتدبر في عاقبة المفسدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف: ١٠٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

ولأن الفساد أنواع كثيرة، عاقب الله المفسدين بعدَّة عقوبات، منها:

**زيادة العذاب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

**لا نصيب لهم في الآخرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

**الحرمان من محبة الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

**الهلاك والانتقام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: ٨٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

وحدَّثنا القرآن الكريم عن أقوام أفسدوا في الأرض فانتقم الله منهم فذاقوا وبال أمرهم، نذكر علىٰ سبيل المثال:

**عاقبة فرعون وقومه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١].

فتاب السحرة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فتاب الله عليهم، وأما فرعون ومن معه فانتقم الله منهم فكانت عقوبتهم في الدنيا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الذاريات: ٣٨ – ٤٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: ٧٧ – ٧٩].

## وعقوبتهم في الآخرة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ – ٤٦].

## عاقبة قارون وهامان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٣ – ٢٥].

## عقوبة الدنيا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا

كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩-٤٠].

**عقوبة الآخرة:**

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤٠-٤٢].

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٨-٩٩].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**عاقبة قوم عاد:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

**عقوبة الدنيا:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤ - ٢٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ﴾ [فصلت: ١٥ - ١٦].

**عاقبة الآخرة:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦].

**عاقبة مدين قوم شعيب عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: ٨٥].

**عقوبة الدنيا:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء: ١٨٩].

**عاقبة الآخرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦].

وهذا الذي ذكر إنما هو تحذير لأهل الإيمان من الفساد والمفسدين؛ ليكون المسلم علىٰ حذرٍ من أيِّ فساد ومن سبل الفاسدين والمفسدين.

**الدعاء**

# (٧٤) عاقبة الظالمين

**أما بعد:**

إنَّ بناءً يقوم علىٰ الظلم فإنه هباءٌ، وإنَّ ارتقاءً علىٰ جماجم القتلىٰ لا يُقال له ارتقاءً، وإنَّ مُلكًا يُجمَع من السلب والنهب واللصوصية ليس له بقاء.

فإذا نبتت النفوس في تربة الظلم، وعاشت في جوِّ الظلم، وتغذَّت من دماء المظلومين؛ فإن هذه النفوس تخرج إلىٰ الدنيا حاملة معها جراثيم الفناء التي تستأصلها، فلا عجب – إذن– أن تكون عاقبة الظالمين شرّ العواقب، قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»(١).

ولا عجب أن نرىٰ القرآن يركِّز الحديث علىٰ ذكر مصارع الظالمين وعواقب الطغاة السيئة، فيذكر مساوئهم ومظالمهم وما كسبت أيديهم، ثم يعقِّب بذكر عواقبهم ومصائرهم، وهي انقراضهم وذهاب ريحهم، وخراب بيوتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ٢٥﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل: ٥٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣﴾ [إبراهيم: ١٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٢–٤٣].

---

(١) رواه مسلم.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: ٣٧ - ٤٠].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

عن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**؛ ثم تلا رسول الله ﷺ: قَالَ تعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥]»(١).

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلىٰ اليمن فقال: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٣٤٩) والطبراني في الكبير برقم (٩١٣) والأوسط برقم (٩٢٧٢).
(٢) البخاري.

**ومن عقوبات الظالمين غير الذي ذكر:**

**الحرمان من محبة الله سبحانه وتعالى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾ [آل عمران: ٥٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

**العقوبة في الدنيا إن لم يتوبوا إلى الله عز وجل:**

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَىٰ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْبَغْيِ**».

فمأواهم النار في الآخرة إن لم يتوبوا إلىٰ الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾ [الأعراف: ٤١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغرّ الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**ومن عقوبات الظالمين أن يلعنهم الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [هود: ١٨-١٩].

**الإضلال إن لم يتوبوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾ [نوح: ٢٤].

**الدعاء**

# (٧٥) حصاد الغرور

**أما بعد:**

**كثيرًا ما حذَّرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الغرور.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

**والمغترون أنواع وأشكال: فمنهم المغتر بماله وولده كصاحب الجنتين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٢-٣٤].

**فجاء موعد حصاد الغرور لصاحب الجنتين الذي اغتر بماله ونفره:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٢-٤٣].

**وهذا قارون الذي اغتر بماله ونسب الفضل لنفسه ونسي أن الرزق بيد الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨].

**فانتقم الله عَزَّوَجَلَّ من قارون، وكان حصاد غروره:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨١ - ٨٢].

**ومنهم المغتر بمنصبه ووظيفته، فهذا فرعون الذي غره ملكه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١].

ووصل به الغرور إلىٰ أن قال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص: ٣٨ - ٣٩].

**فلما اغتر فرعون بملكه ورياسته، جنى حصاد الغرور:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الإسراء: ١٠٣].

**ومنهم المغتر بجماله ووسامته، والكل جاهل لقدره، غافل عن حقيقته، مستدرج بما سيق إليه، مفتتن بما منح إياه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥ – ٥٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

وهذا إبليس اللعين، الشيطان الرجيم الذي اغتر بأصل خلقته، وهي أن النار أفضل من الطين، وهذا قياس فاسد، فالتفضيل عند الله عَزَّوَجَلَّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

**فلما اغترَّ إبليس وامتنع عن السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ جنى إبليس حصاد غروره:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣ – ١٨].

**ويأمر الله عَزَّوَجَلَّ آدم أن يسكن الجنة هو وزوجه حواء، ونهاهما عن الأكل من الشجرة وحذَّرهما من الشيطان، وبيَّن لهما عداوته لهما:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ١٩ - ٢٢].

**فكان حصاد تغرير الشيطان لآدم وزوجه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٢ - ٢٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

فلا عجب- وهذا المرض بهذه الخطورة- أن يقاومه الإسلام مقاومة تستأصل جذوره، وأن يزيح الستار عن مخازيه بما يفضح كل مغرور ويكشف غروره.

**ولمَّا كان الغرور ينشأ من غفلة المغرور عن أصل خلقته ومادة تكوينه، كان القرآن لا يفتأ يقرع سمعه بمثل قوله- تذكيرًا بأصله-:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ [الطارق: ٥].

قال عبد الله بن مطرف، للمهلب بن أبي صفرة -وقد رآه لابسًا حلة، وهو

يسحب ذيلها علىٰ الأرض ويمشي الخيلاء-: ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ قال: أما تعرف مَن أنا؟ قال: بلىٰ، أعرفك أوَّلُك نطفة مَذِرَة، وآخِرُك جيفَةٌ قذِرَة، وحشوك فيما بين ذلك بولٌ وعذرة ففِيمَ الخيلاء؟ وعلام الكبرياء؟ فخلع المهلب الحلة ورمىٰ بها إلىٰ خادمه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

وإذا كان كلٌّ من الإنس والجن يرىٰ أنه المخلوق الأفضل، فتحدِّثُه نفسه بالغرور، فقد أشعر الله كلًّا منهما بأنه خُلِق من شيء تافه ضعيف لا يوحي بالغرور؛ إذ يقول للإنس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات: ٢٠].

كما يقول ﷿ عن الجن: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٥].

وإن لفظة (مَهِين) لتذكرنا وتفتح بصائرنا علىٰ المادة الأولىٰ التي خُلق منها هذا المخلوق المغرور المتكبر، وهي التراب التافه الرخيص الذي تدوسه الأقدام وتطؤه النعال.

وإذا منح اللهُ الإنسانَ قوَّةً سخَّر له بها كلَّ ما في البر والبحر، فكانت هذه القوة من أعظم دواعي الغرور في نفسه، فليتذكر أن مرضًا واحدًا ولو كان بسيطًا يسبب له من الآلام، ما يمنع جفونه أن تنام، فمن أين - يا ترىٰ- يأتي الغرور إلىٰ الإنسان؟ وهو لو اجتمعت له كلُّ أسباب النجاح، وتوفَّرت لديه كافَّة ألوان السعادة، لأبعد خيال

الغرور عن نفسه، وأنه- لا محالة- مفارق كلَّ ما يغتر به ويعتزّ بوجوده في يوم من الأيام؟ ولما حضرت معاوية الوفاة، جمع أهله فقال لهم: «ألستم أهلي، وعليكم حزني، ولكم كدِّي وكسبي؟ قالوا!: بلىٰ قال: فهذه نفسي خرجت من قدمي، فردُّوها عليَّ إن استطعتم، ثم بكىٰ وقال: من تغره الدنيا بعدي»؟.

ولكنَّ المغرور أبعدُ ما يكون عن ذكر الموت؛ لأن مَن ذكر الموت نسي الغرور؛ فإن كل ما في هذه الحياة من مُتَعٍ وملذات سمَّاه الله متاع غرور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الدعاء

# (٧٦) المحروم من التوبة

**أما بعد:**

فقد أمر الله تعالىٰ بالتوبة وحثَّ عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

والتوبة النصوح هي التي لا عودة بعدها إلىٰ الذنب. قال قتادة: النصوح الصادقة الناصحة الخالصة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٥ – ١٤٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(١).

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(٢).

وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٣).

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، وقال حديث حسن .

(٣) رواه مسلم.

**التائب لا يكون تائبًا حقًّا إلا إذا توفَّرت في توبته خمسة شروط:**

**الشرط الأول: الإخلاص وهو أن يقصد بتوبته وجه الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

**الثاني: الإقلاع عن الذنب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥].

**الثالث: الندم على فعله:**

قال رسول الله ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»(١).

**الرابع: العزم على عدم الرجوع إليه:**

فلا تصحُّ التوبة من عبد ينوي الرجوع إلىٰ الذنب بعد التوبة، وإنما عليه أن يتوب من الذنب وهو يعزم ألا يعود إليه في المستقبل.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

---

(١) قال العراقي: رواه ابن ماجه وابن حبان، والحاكم من حديث أنس، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

**خامسًا: أن تكون التوبة قبل أن يصل العبد إلى حال الغرغرة عند الموت.**

والغرغرة إحدىٰ ثلاث أوقات لا تُقبَل فيها التوبة؛ لأن العبد قد عايَن الموت. عن عبد الله بن عمر أنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[(١)].

أي: ما لم تصل الروح الحلقوم، فإذا وصلت الروح الحلقوم فلا توبة، وقد بيَّنت النصوصُ الأخرىٰ أنه إذا حضر الموت فلا توبة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٨].

وقوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠].

قال بعض العلماء: يعني إذا أخَّروا التوبة إلىٰ حضور الموت فتابوا حينئذ، وهذا التفسير يشهد له قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

وقد تقرَّر في الأصول حمل المطلق علىٰ المقيد، ولا سيما إذا اتَّحد الحكم والسبب كما هنا.

وقال بعض العلماء: معنىٰ لن تقبل توبتهم: لن يوفقوا للتوبة حتىٰ تقبل منهم،

(١) الترمذي وأحمد.

ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٣٧]، فعدم غفرانه لهم لعدم هدايتهم السبيل الذي يغفر لصاحبه، ونظيرها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩][(١)].

## حين نزول عذاب استئصال الأمم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤ – ٨٥].

## طلوع الشمس من مغربها. فإذا طلعت أغلق باب التوبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**»[(٢)].

**الدعاء**

(١) «أضواء البيان»، للشنقيطي.
(٢) البخاري.

# (٧٧) محبطات العمل

**أما بعد:**

محبطات العمل ومفسداته أكثر من أن تحصىٰ، نعم، فليس الشأن في أن يعمل الإنسان، إنما الشأن في أن يحافظ علىٰ العمل الذي عمله، ولذلك قال أئمتنا الأبرار: حفظ العمل علىٰ العمال أشقُّ عليهم من القيام بسائر الأعمال(١).

**فإن محبطات الأعمال لها أسباب كثيرة من أخطرها:**

**الكفر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥].

**الإشراك بالله:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

**الرِّدَّة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب.

**كراهية شيء من القرآن:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩].

**اتباع ما أسخط الله:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨].

**النفاق:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة: ٥٢ – ٥٣].

**رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢].

قدِم الأقرع بن حابس علىٰ النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، استعمله علىٰ قومه. فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله. فتكلما عند النبي ﷺ حتىٰ ارتفعت أصواتهما، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. فقال: ما أردت خلافك. قال: فنزلت هذه

الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾. قال: فكان عمر بن الخطاب بعد ذلك إذا تكلم عند النبي ﷺ لم يسمع كلامه حتىٰ يستفهمه(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### ترك صلاة العصر:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ**»(٢).

قال ابن حجر: المراد بالحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي تُرْفَع فيه الأعمال إلىٰ الله.

### التألِّي على الله عز وجل في تضييق رحمته عن عباده:

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٦٢١.

وهذا لأن مغفرة الذنوب بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يغفر لمن يشاء من عباده.

**المنُّ والأذى:**

فمن تصدق بصدقة ثم مَنَّ بها علىٰ المتصدَّق عليه، أو آذاه، فإنه يُحبط بذلك أجر صدقته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

**إتيان الكهنة والعرافين وتصديقهم:**

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**»(١).

**الدعاء**

(١) مسند أحمد وغيره.

# (٧٨) فهل أنتم منتهون؟

**أما بعد:**

لقد نهانا الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله عن أمور كثيرة؛ لما يترتب على اجتنابها من المصالح العظيمة، والفوائد الجمة، ودرء المفاسد الكثيرة، والشرور الكبيرة، والأمور التي نهى الله عنها منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، وينبغي على المسلم اجتنابها. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[1].

**ومن النواهي التي نهانا الله عنها:**

**وأولها الشرك بالله، وهذا أكبر الكبائر، وأعظم أنواع الظلم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

فالشرك هو أقبح ذنب عُصِيَ الله تعالىٰ به، ويليه في القبح البدعةُ، ثم الكبيرة، ثم تأتي بعد ذلك الصغيرةُ، قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» في معرض حديثه عن شر الشيطان: «ولا يمكن حصرُ أجناس شره فضلًا عن آحادها؛ إذ كل شر في العالم هو السبب فيه، ولكن ينحصر شره في ستة أجناس، لا يزال بابن آدم حتىٰ ينال منه واحدًا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨).

منها أو أكثر، الشر الأول شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريد من العبد، فلا يزال به حتىٰ يناله منه، فإذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره واستنابه علىٰ أمثاله وأشكاله، فصار مِن دعاة إبليس ونوابه، فإذا يئس منه من ذلك وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه نقله إلىٰ المرتبة الثانية من الشر، وهي البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعد، وهي ذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعوة إلىٰ خلاف ما جاءوا به، وهي باب الكفر والشرك، فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها بقي أيضًا نائبه وداعيًا من دعاته، فإن أعجزه من هذه المرتبة، وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة ومعاداة أهل البدع والضلال، نقله إلىٰ المرتبة الثالثة من الشر، وهي الكبائر علىٰ اختلاف أنواعها، فهو أشد حرصًا...».

إلىٰ أن قال: «فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلىٰ المرتبة الرابعة، وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها». انتهىٰ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وبعد:

وليست كل بدعة أكبر من كل كبيرة، فالبدع وإن كانت أشد، وأغلظ من الكبائر، لكن ليست بالضرورة أن تكون كل بدعة أشدَّ وأغلظَ من كل كبيرة، سئل الشيخ: محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالىٰ: أيهما أعظم: المعصية، أم

البدعة؟ وهؤلاء مثلًا الذين يتخذون بعض الوسائل البدعية في الدعوة للتخفيف، وصد الناس عن بعض المعاصي؟

**الجواب**: البدعة معصية، وزيادة، وهي من حيث أثرها، وكونها تقدمًا بين يدي الله ورسوله أشد، حتىٰ إن بعض أهل العلم قال: إنه لا توبة لمبتدع؛ لأن البدعة تنتشر، وردها صعب بعد انتشارها، لا سيما وأن البدعة غالبًا تُغَلَّف بأمر عاطفي، وأنتم تعرفون أن عاطفة المسلمين بالنسبة لله ورسوله شديدة جدًّا، فقد تكون البدعة أكبر، وقد تكون المعصية أكبر حسب الحال، لكن لو تساوتا من حيث الوزن، فآثار البدعة أشد وأضر علىٰ المسلمين. والأمثلة علىٰ البدع والكبائر والصغائر كثيرة لا يتسع الموضوع لذكرها.

**الدعاء**

# (٧٩) الجزاء من جنس العمل في الثواب

**أما بعد:**

الجزاءُ من جنسِ العملِ في الثوابِ والعقابِ في التعامُلِ مع الخالقِ والمخلوقِ؛ فمن أفعالِ اللهِ في الثوابِ: أنه يُجازِي على الإحسانِ، وإحسانُهُ فوق كلِّ إحسانٍ، فمن صدقَ مع الله في إخلاصِ الأعمال له أعطاه الله على حسبِ صِدقِهِ معه.

عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

**فجزاء الإحسان إحسانٌ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠].

جزاء من تصبَّر ودرَّب نفسه على الصبر أن يصبِّره الله ويعينه ويسدّده؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، وفيه: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٢).

**وجزاء من ستر مسلمًا وأعانه ونفَّس عنه كربة من كرب الدنيا:**

**عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ**

---

(١) صحيح النسائي.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم (١٤٦٩)، وكتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، برقم (٦٤٧٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، برقم (١٠٥٣).

**اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرَبَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**(١).

فمن حكمة الله التي يُحمد عليها أنَّ مَن عمِل ما يحبه الله أحبه الله، ومن عمل ما يبغضه أبغضه الله، ومن يسَّر علىٰ مسلم يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن فرّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في حاجة العبد ما كان العبد في حاجة أخيه.

### وجزاء من رفق بأمة محمد ﷺ:

**عن عائشة قالت:** سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول في بيتي هذا: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»(٢).

### ففي جزاء الوفاء بالعهد مع الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

### وفي جزاء حفظ حدود الله وطاعته واجتناب معصيته:

**عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:** كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٧٠) (٢٦٩٩).

(٢) مسلم في صحيحه رقم (١٨٢٨). النسائي في «السنن الكبرىٰ» رقم (٨٨٧٣) ولفظه: «اللهم من ولي من أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به». وأخرجه أحمد (٦/ ٦٢، ٩٣، ٢٦٠). وهو حديث صحيح.

(٣) خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وأَحْمَدُ.

**وجزاء التقرب إلى الله بالطاعات أن يتقرب الله من العبد قربًا يليق بجلاله وعظمته.**

«**إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْعَبْدُ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَىٰ إِلَيَّ مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

**وجزاء من ذكر ربه عَزَّوَجَلَّ أن يذكره الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(٢).

**وجزاء من أوى إلى الله أن يأويه الله عَزَّوَجَلَّ، ومن استحيا استحيا الله منه:**

وقد دخل ثلاثة نفر على النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو في المسجد يحدث أصحابه، فجلس اثنان وانصرف الثالث، ثم قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَبَرِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا الْأَوَّلُ فَأَوَىٰ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٠). والبخاري برقم (٧٥٣٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري برقم (٧٥٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وابن حبان.

(٣) متفق عليه.

**وجزاء من ترك شيئًا لله أن يعوضه الله خيرًا منه:**

**«إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»**(١).

وهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي تبرأ من قومه واعتزلهم لما أصروا علىٰ كفرهم بالله عز وجل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فلما تركهم لله عز وجل مَنَّ الله عليه وعوضه خيرًا منهم، فجعل الله النبوة في ذريته إلىٰ يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٨-٥٠].

فكل الأنبياء الذين أتوا من بعد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من ذرية إسحاق بن إبراهيم، إلا نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، فهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فعوضه الله خيرًا من قومه الذين تبرأ منهم لله عز وجل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧].

---

(١) رواه أحمد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد: ٢٦].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**وجزاء من نصر دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينصره الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧].

وجزاء من أحب لقاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، روىٰ أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «**لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعَقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»(١).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٧).

**وجزاء من عمل حسنة أن يضاعفها الله له أضعافًا كثيرة:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص: ٨٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣].

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**»(١).

**الدعاء**

(١) متفق عليه.

# (٨٠) الجزاء من جنس العمل في العقاب

**أما بعد:**

**جزاء العامل من جنس عمله إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٦].

فمن زرع خيرًا حصد خيرًا، ومن زرع الشوك لا يجني عنبًا.

فلو استحضر الظالم الباغي عاقبة ظلمه وأن الله عَزَّ وَجَلَّ سيسقيه من نفس الكأس عاجلًا أو آجلًا، لكف عن ظلمه، وتاب إلىٰ الله وأناب، ولعل هذا المعنىٰ هو ما أشار إليه سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال له الحجاج: «اختر لنفسك أي قتلة تريد أن أقتلك، فقال: بل اختر أنت لنفسك يا حجاج؛ فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها يوم القيامة».

**فالجزاء من جنس العمل**، وهذه بعض الأمثلة: فجزاء من نسي الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينساه الله عَزَّ وَجَلَّ وأن يُنْسِيَه نفسَه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

**وجزاء من ظن أنه يخادع الله في أفعاله أن يخدعه الله باستدراجه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

**وجزاء الماكرين في فعل السيئات أن يمكر الله بهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٠ – ٥٣].

**وجزاء من زاغ عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ أن يزيغ الله قلبه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥].

**وجزاء الذنوب عقاب الله عَزَّوَجَلَّ للمذنبين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩ – ٤٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد: ٣٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ

بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾
[غافر: ٥].

**وجزاء الظلم الحرمان من الطيبات وأيضًا انتقام الله عَزَّوَجَلَّ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠ – ١٦١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٠ – ١٠٢].

**وجزاء نقض الميثاق اللعنة وقساوة القلوب والطبع عليها:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ١٥٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

فالمعاصي سبب زوال النعم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

## جزاء من شق على أمة محمد ﷺ:

عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول في بيتي هذا: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»(١).

**الدعاء**

(١) مسلم في صحيحه برقم (١٨٢٨)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» برقم (٨٨٧٣)، ولفظه: «**اللهم من ولي من أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»، وأخرجه أحمد (٦/ ٦٢، ٩٣، ٢٦٠). وهو حديث صحيح.

# (٨١) تبصير العباد بيوم الميعاد

**أما بعد:**

إذا حان الأجل وشارفت حياة الإنسان على الانتهاء، أرسل الله رسل الموت لسلِّ الروح المدبِّرة للجسد والمحرِّكة له.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

وملائكة الموت تأتي المؤمن في صورة حسنة جميلة، وتأتي الكافر والمنافق في صورة مخيفة، ففي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِن أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ بَصَرِهِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ** -وفي رواية: **الْمُطْمَئِنَّةُ**- **اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ.** قال: **فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا...وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ** -وفي رواية: **الْفَاجِرَ**- **إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ** -**غِلَاظٌ شِدَادٌ**- **سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ** -**مِنَ النَّارِ**- **فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ** -الكثير الشعب- **مِنَ الصُّوفِ**

**الْمَبْلُولِ، - تَقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ»**(١).

**النفخ في الصور:**

قال ﷺ قال: «**إِنَّ إِسْرَافِيلَ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ فَيَنْفَخُ**»(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: «**أَبَيْتُ**» قالوا: أربعون سنة؟ قال: «**أَبَيْتُ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ**» قال: «**وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ**»(٣).

ومعناه: أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يومًا، أو سنة، أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنها أربعون علىٰ سبيل الإجمال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١].

**وعند الخروج من القبور أهل الكفر لهم شعار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)، والحاكم (١/ ٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٥٥). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الطبري في «مسند عمر» (٢/ ٤٩١): إسناده صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٢) رواه أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد، المسند (٣/ ٧)، سنن الترمذي (٤/ ٤٢).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٨٢)، صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١).

**وأهل الإيمان لهم شعار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢].

**عن ابن عمر قال:** قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ الْعَيْنِ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**»(١).

وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة؛ لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها، وتكور شمسها وانكدار نجومها، وتناثر كواكبها إلىٰ غيرذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلىٰ سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم وأخذها بأيمانهم وشمائلهم أو من وراء ظهورهم في موقفهم علىٰ ما يأتي بيانه. قال الله تعالىٰ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق: ١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥].

فتراها واهية منفطرة متشققة كقوله تعالىٰ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ: ١٩].

ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض(٢).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) التذكرة للقرطبي.

**أما عن الحشر:**

**قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»(١).**

**وأخبر سبحانه أنه يحشر الكافرين على وجوههم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ [الإسراء: ٩٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤].

**قال ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ وَعَشَرَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ. وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»(٢).**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وبين الرسول ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبديل هو وقت مرور الناس على الصراط أو قبل ذلك بقليل، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: «**عَلَىٰ الصِّرَاطِ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠). من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب البعث والنشور (٤/ ٢١٥٠) ورقم (٢٧٩١).

عن ثوبان أن حَبْرًا من أحبار اليهود سأل الرسول ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**»(١).

**الدعاء**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة، (١/ ٢٥٢) ورقم (٣١٥)، والمراد بالجسر الصراط.

# (٨٢) يوم التناد

**أما بعد:**

فكيف يا ابن آدم المغرور، إذا نفخ في الصور، وبعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، وكُوِّرت الشمس، وخُسِف القمر، وانتثرت النجوم، وعطلت البحار، وحُشِرت الوحوش، وزُوِّجت النفوس، وسُيِّرت الجبال، وعَظُمت الأهوال، وحُشروا حفاةً، ووقفوا عراة، ومدت لهم الأرض، وجُمعوا فيها للعرض، من الهول حيارىٰ، ومن الشدة سُكارىٰ، قد أظلَّهم الكرب، وأجهدهم العطش، واشتد بهم الحرُّ، وعم الخوف، وجلَّ العناء، وكثر البكاء، وفنيت الدموع، ولازموا الخضوع، ودهمهم القلق، وعمَّهم العرق، وطاشت العقول؛ وشمِل الذهول؛ وتبلبلت الصدور؛ وعظمت الأمور؛ وتحيرت الألباب، وتقطعت الأسباب، ورأوا العذاب، وركبهم الذل، وخضعت رقاب الكل، وزلزلت الأقدام، وتبلدت الأفهام، وطال القيام، وانقطع الكلام، ولا شمس تضيء، ولا قمر يسري، ولا كوكب دري، ولا فلك يجري، ولا أرض تُقِلُّ، ولا سماء تُظِلُّ، ولا ليل ولا نهار، ولا بحار ولا قفار. يا له من يوم تفاقم أمره، وتعاظم ضره، وعظم خطره، يوم تشخص فيه الأبصار بين يدي الملك الجبار ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢]، قد خشعت لهوله الأصوات، وقل فيه الالتفات، وبرزت الخفيات، وظهرت الخطيَّات، وأحاطت البليَّات، وسيق العباد، ومعهم الأشهاد، وتقلصت الشفاه، وتقطعت الأكباد، وشاب الصغير، وسكر الكبير، ووضعت الموازين،

ونشرت الدواوين، وتقطعت الجوارح، وارتعدت الجوانح، واتضحت الفضائح وأُزلفت الجنان، وسعرت النيران، ويؤمر بعد الخطب الجسيم، والهول العظيم، للمقعد المقيم؛ إما بدار النعيم والرضوان، وإما بدار الجحيم والنيران(١).

**في هذا اليوم تكثر فيه النداءات؛ لأن الله سماه بيوم التناد:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢ – ٣٣].

**عند النفخ في الصور:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: ٤١ – ٤٢].

**والله رب العالمين ينادي في هذا اليوم العظيم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت: ٤٧ – ٤٨].

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أعلمناك ليس منا أحد يشهد أن معك شريكًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر: ١٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب.

### فكان جواب المؤمنين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ثم يأتي هذا النداء العظيم، وما أعظمه وما أجمله من نداء!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

### نداء أصحاب الجنة على أصحاب النار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤].

والنبي ﷺ أَمر بقتلىٰ بدر فَأُلْقُوا فِي قليب، ثمَّ جَاءَ حَتَّىٰ وقف عَلَيْهِم وناداهم بِأَسْمَائِهِمْ: «**يَا فُلَانَ ابْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ ابْنَ فُلَانٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**»، فَقَالَ لَهُ عمر: يَا رَسُول الله، مَا تخاطب من أَقوام قد جيفوا. فَقَالَ: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَنْتُم بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ جَوَابًا**»[1].

### نداء أصحاب النار على أصحاب الجنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠].

قال سفيان بن عيينة، عن عثمان الثقفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في هذه الآية قال: ينادي الرجل أخاه: إني قد احترقت، فأفِض علي من الماء.

---

(١) متفق عليه.

فيقال: أجبه، فيقول: ذكر إن الله حرمها علىٰ الكافرين.

**التخويف من النار، والتعريف بحال دار البوار:**

**نداء المنافقين على المؤمنين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤)﴾ [الحديد: ١٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**نداء على أصحاب الجنة وأصحاب النار:**

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩)﴾ [مريم: ٣٩][(١)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها (٤/ ٢١٨٨).

**نداء أصحاب الأعراف على أصحاب الجنة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: ٤٦].

إِنَّ أَهْلَ الأَعْرَافِ يُسَلِّمُونَ عَلَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَجْتَازُوا الحِسَابَ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ، إِذْ يَكُونُونَ طَامِعِينَ فِي دُخُولِهَا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ يُسْرِ الحِسَابِ.

**المنجيات من النار:**

**نداء أصحاب الأعراف على أصحاب النار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٧ – ٤٩].

فَكُلَّمَا اتَّجَهَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَىٰ جِهَةِ أَهْلِ النَّارِ تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَقَالُوا: رَبَّنا لَا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ.

**الدعاء**

# (٨٣) فبصرك اليوم حديد

**أما بعد:**

فقد قل الله تعالىٰ: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] أي بصرك المعروف.

واختلف أهل العلم في المراد باليوم؟ فقيل: إنه يوم القيامة، وهو قول الأكثرين. وقيل: إنه في الدنيا، وهذا علىٰ قول ابن زيد: إن المراد بالخطاب النبي ﷺ.

وقوله تعالىٰ: ﴿حَدِيدٌ﴾: قال ابن قتيبة: الحديد بمعنىٰ الحادّ. أي: فأنت ثاقب البصر، وفي قوله تعالىٰ: ﴿حَدِيدٌ﴾، ثلاثة أقوال: الأول: فبصرك حديد إلىٰ لسان الميزان حين توزن حسناتك وسيئاتك، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاخص لا يطرف لمعاينة الآخرة، قاله مقاتل. والثالث: أنه العلم النافذ، قاله الزجاج. والله أعلم.

**وعلىٰ قول ابن قتيبة:** الحديد بمعنىٰ الحادّ. أي: فأنت ثاقب البصر، وقول مقاتل: إنه شاخص لا يطرف لمعاينة الآخرة.

فإذا بُعث الناس وقاموا من قبورهم ذهبوا إلىٰ أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قيامًا طويلًا، تشتدُّ معه حالهم وظمؤُهُم، ويخافون في ذلك خوفًا شديدًا؛ لأجل طول المقام، ويقينهم بالحساب، وما سيُجري الله عَزَّوَجَلَّ عليهم.

**لذا قال تعالى عن رؤية هذا اليوم:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: ١-٢].

وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ -وهو في بعض أسفاره، وقد تفاوت بين أصحابه السير- رفع بهاتين الآيتين صوتَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج: ١-٢].

فلما سمع أصحابه ذلك حثوا المطي، وعرفوا أنه عند قول يقوله، فلما دنوا حوله قال: «**أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ؟ قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادَىٰ آدَمُ** ﷺ، **فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ** ﷻ، **فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَىٰ النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ**». قال: فأبلس أصحابه، حتىٰ ما أوضحوا بضاحكة. فلما رأىٰ ذلك قال: «**أَبْشِرُوا وَاعْمَلُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ: يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ**» قال: فسري عنهم، ثم قال: «**اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ**»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥﴾ [الشورىٰ: ٤٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٠)، مسند أحمد (٤/ ٤٣٥)، سنن الترمذي: (٣١٦٩).

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ [الزمر: ٦٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

**والأعمال كذالك تُرى على أرض القيامة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥].

قال مجاهد: هذا وعيد، يعني من الله تعالىٰ للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالىٰ، وعلىٰ الرسول، وعلىٰ المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ [العاديات: ١٠][(١)].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

وترىٰ يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثيةً، يقول: مجتمعة مستوفزة علىٰ ركبها، من هول ذلك اليوم[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تفسير الطبري.

**ترى صديق السوء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥﴾ [الصافات: ٥٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾ [سبأ: ٣١].

**حال المؤمنين في ذلك اليوم العظيم الذي مقداره خمسين ألف سنة، كم سيقفون؟**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾ [النمل: ٨٩].

وقال النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ**» (الحاكم عن أبي هريرة)(١).

**والإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل، وليست القضية بالأماني:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣].

سلعة الله غالية حفت بالمكاره، فالمؤمنون يكون ذلك اليوم عليهم مثل ما بين

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٥٨، رقم ٢٨٣)، وقال: صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين، إن كان سويد بن نصر حفظه علىٰ أنه ثقة مأمون..

الظهر والعصر، مثل وقت وجبة الغداء، ينتظرون الكرامة من الله في ظل العرش، لا يصيبهم لهب الشمس، ولهم طعام، ولهم شراب، وهذا بعض الوارد في رؤية المؤمنين علىٰ أرض القيامة والتي قال عنها ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

ورؤية الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، كما ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

**رؤية رب العالمين جَلَّ جَلَالُهُ:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

**قال الشافعي:** لما حجب هؤلاء في السخط دل علىٰ أن أولياءه يرونه في الرضىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنىٰ: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلىٰ وجه الله الكريم، كما قال النبي ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ؛ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»، وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ، فنظر إلىٰ القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(١).

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**» الحديث. أي ترونه رؤية صحيحة لا مضارة فيها.

**الدعاء**

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣). من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

# (٨٤) أحوال النفس يوم القيامة

**أما بعد:**

لقد أقسم الله ﷻ بالنفس الإنسانية؛ لأنها أعظم ما خلق وأبدع، وجعل قَسَمَه بها سابع قسم شمل خلق السموات والأرض.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ١-٧].

ثم بيَّن الله تعالىٰ أنَّه ألهم نفوسنا دوافع الخير ونوازع الشر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨].

ولكنّ هذا الخير وهذا الشر ليسا قدرًا مسيطرًا علىٰ شخصية الإنسان لا مندوحة عنه، بل بإمكان الإنسان أن يزكو بنفسه ويرقىٰ بها، وبإمكانه أن ينحطّ بها ويتدهور بشأنها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠].

ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»(١)، وفي يوم القيامة يكون لهذه النفس أحوال منها:

**الحالة الأولى: الجدال:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝١١١﴾ [النحل: ١١١].

---

(١) أخرجه أحمد بإسناد جيد.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ تخاصم عن نفسها، وتحتج بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو إيمان أو كفر، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ في الدنيا من طاعة ومعصية، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: وهم لا يُفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شرٍّ، فلا يجزىٰ المحسن إلا بالإحسان، ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة، لا يعاقب محسن، ولا يبخس جزاء إحسانه، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله[1].

**الحالة الثانية: الغفلة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢١].

**الحالة الثالثة: الحسرة والتعلل بالهداية وطلب العودة إلى الدنيا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

**الحالة الرابعة: الندامة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس: ٥٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) الطبري.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**الحالة الخامسة: التمني:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

فما هم من المعتبين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ٢٤].

**الحالة السادسة: أهل الشقاوة وأهل السعادة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨].

**ولله درُّ من قال:**

**فما لك ليس يعمل فيك وعظ ... ولا زجر كأنك من جماد**

ســـــتندم إن رحلـــــت بغيـــــر زادٍ وتـــــشقىٰ إذ ينـاديـــــك المنـــــادي

فـــلا تـــأمن لـــذي الـــدنيا صـــلاحًا فـــإن صـــلاحها عـــين الفـــساد

ولا تفـــــــرح بمـــــــال تقتنيـــــــه فإنـــك فيـــه معكـــوس المـــراد

أترضـــىٰ أن تكـــون رفيـــق قـــوم لهـــم زاد وأنـــت بغيـــر زاد؟!

يا كثير السيئات، غدًا ترىٰ عملك، ويا هاتك الحرمات، إلىٰ متىٰ تديم زللك؟ أما تعلم أن الموت يسعىٰ في تبديد شملك؟ أما تخاف أن تؤخذ علىٰ قبيح فعلك؟ واعجبا لك مِنْ رَاحِلٍ تركت الزاد في غير رحلك!! أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك؟ أما بارزت بالقبيح؟ فأين الحزن؟ أما علمت أن الحق يعلم السر والعلن؟ ستعرف خبرك يوم ترحل عن الوطن، وستنتبه من رقادك ويزول هذا الوسن.

**الدعاء**

# (٨٥) خطاب أهل الإيمان

**أما بعد:**

آيات القرآن الكريم في غاية الدقة والإحكام، والوضوح والبيان، أحكمها حكيم، وفصَّلها خبير، وسيظل هذا الكتاب معجزًا من الناحية البلاغية والتشريعية والعلمية والتاريخية وغيرها، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، لم يتطرق إليه أدنىٰ شيء من التحريف؛ تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩].

فالدنيا كلها لم تظفر بكتاب أجمع للخير كله، وأهدىٰ للتي هي أقوم، وأوفىٰ بما يُسْعد الإنسانية، من هذا القرآن المجيد، الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ [الإسراء: ٩].

هذا القرآن الكريم أنزله الله علىٰ رسوله محمد ﷺ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ [إبراهيم: ١].

فتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وضمن للمسلمين الأمن والسعادة في دنياهم وأخراهم، إذا هم تَلَوْه حقَّ تلاوته، وتفهموا سوره وآياتِهِ، وتفقهوا جمله وكلماتِهِ، ووقفوا عند حدوده وَائتمروا بأوامره، وانتهوا بنواهيه، وتخلقوا بما شرع، وطبقوا مباده ومُثُله وقيمه علىٰ أنفسهم وأهليهم ومجتمعاتهم.

والله جَلَّ جَلَالُهُ قد أقام الحجة علىٰ الناس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا

يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

فمن امتثل أوامر الله عَزَّوَجَلَّ والتزم هدي نبيه ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

لذا فقد خاطب الله عباده المؤمنين في عشرات المواضع من كتابه مُصَدِّرًا خطابه بنداء التعريف بالإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وكلما قرأه مؤمن لهج قلبه بالجواب: «لبيك يا رب»، فإذا خاطب المؤمنُ ربَّه داعيًا إياه في بعض آيات القرآن، أجابه الحق جَلَّجَلَالُهُ بما يناسب المقام، والأدلةُ علىٰ ذلك واضحةٌ، أشهرها ما ورد عن أبي هريرة، قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.**

**فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢] **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي.**

**وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ [الفاتحة:٣]، **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي.**

**وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤]، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي.**

**فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.**

**فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة٦،٧] **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**(١).

**ويضفيهم رب العالمين إليه تشريفًا لهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦].

**وأسلوب الخطاب مع المؤمنين عند الاحتضار:**

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السلام حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ السِّقَاءِ**».

إلىٰ قوله عليه الصلاة والسلام:

«**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. يَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ. فَيَقُولَانِ لهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ يَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ**

---

(١) رواه مسلم.

فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي»(١).

**وخطاب الملائكة لهم عند الموت:**

**تسلم عليهم الملائكة ويبشرونهم بالجنة ويطمئنونهم:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾ [الواقعة: ٨٨ – ٩١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

**وخطاب الله للمؤمنين على أرض القيامة:**

عن ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه قال: يدنو المؤمن من ربه فيرخي عليه ستره وكنفه ثم يعرفه، يقول: عبدي! هل تعرف كذا؟ يذكر له الذنب الذي أذنبه، وانتهاك الحرمة التي انتهكها، فيقول: أي رب أعرف، فيقر ولا يعترض، فيقول: عبدي! هل

---

(١) مسند الإمام أحمد.

تعرف ذنب كذا؟ يقول: نعم رب أعرف، فيقول: عبدي تعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم رب أعرف، فيقر ولا يعترض علىٰ ربه، وهذا هو العبد الذي غلبته شهوته، وغلبه هواه، ولكنه خاضع مسكين، يعلم أن أمره بيد ربه، فيقول: رب نعم أعرف، فيقول: «**عبدي! سترتها عليك في الدنيا، وأنا أسترها عليك اليوم**»، وفي رواية: «**أغفرها لك اليوم**» فيغفرها الله، فهذا المؤمن المذنب(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### وخطاب الله للمؤمنين في الجنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق: ٣٤-٣٥].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَىٰ يَا رَبِّ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ؟ يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ**

(١) متفق عليه.

مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

عن صهيب أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا. فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟! فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ اللهِ، فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ»(٢).

الدعاء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم (٦٥٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان علىٰ أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا، برقم (٢٨٢٩).

(٢) رواه مسلم.

# (٨٦) خطاب أهل الكفر

**أما بعد:**

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في آيات كثيرة أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسل رسلًا إلىٰ أقوامهم لعبادته وحده، ونبذ الشرك، فما كان من كثير من هؤلاء إلا أن كذبوا الرسل، وأصروا علىٰ اتباع آبائهم، ورفضوا عبادة الله وحده، وعادَوْا رسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحاربوهم، فاستدرجهم الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾ [الأعراف: ١٨٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

وازدادوا كفرًا وعنادًا وتكذيبًا وبغيًا، فتوعدهم الله عَزَّوَجَلَّ وكلَّ من سار علىٰ دربهم أن يلقىٰ نفس مصيرهم، ولذلك تجد خطاب أهل الكفر أحيانًا يكون بالتهديد والوعيد والتقريع والتخويف، وذلك بسبب تكذيبهم وإعراضهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: ٢٤].

فكان الرد من رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في خطاب تهديد وتوبيخ يتناسب مع خطابهم الذي ادعَوْا فيه أن القرآن الذي أُنْزِل علىٰ محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أساطيرُ الأولين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ [النحل: ٢٥-٢٦].

**الاحتضار وخطاب الملائكة لهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النحل: ٢٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القيامة: ٢٩ – ٣٢].

وفي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: «**وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ. قَالَ: فَتفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، وَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَتَخْرُجَ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ**»، إلىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ يَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي**»(١).

---

(١) رواه أحمد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥٠–٥١]. **وتركت**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

## خطاب الله لأهل الكفر على أرض القيامة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

## يأتي أهل الكفر يوم القيامة ويأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٩].

فيكون الخطاب من رب العالمين لملائكته أن يَجُرُّوهم إلىٰ جهنم بأبشع صورة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ – ٣٧].

## خطاب الملائكة للكافرين في جهنم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

فتسألهم الملائكة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧١ – ٧٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨﴾ [الملك: ٨].

## فكانت إجابتهم على الملائكة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ [الملك: ٩-١١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**خطاب أهل الكفر في جهنم:**

**خطاب أهل الكفر خزنة جهنم ليستغيثوا بهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩﴾ [غافر: ٤٩].

**فكان خطاب الخزنة لهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٥٠].

**خطاب أهل الكفر مع رئيس الخزنة مالك عليه السلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

عن عطاء بن السائب، عن أبي الحسن، عن ابن عباس قال: فيتركهم ألف سنة، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧][(١)].

**خطاب أهل الكفر لأهل الإيمان:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠].

**خطاب الله سبحانه وتعالى لأهل الكفر في النار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا

---

(١) أخرجه البيهقي، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار.

ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

عن محمد بن كعب القرظي، قال: لأهل النار خمس دعوات، يُكَلَّمون في أربع منها، ويسكت عنهم في الخامسة، فلا يُكَلَّمون.

**يقولون:** ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١].

فيرد عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ [غافر: ١٢].

**ثم يقولون:** ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

**فيرد عليهم:** ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٣ – ١٤].

**ثم يقولون:** ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

**فيرد عليهم:** ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٤].

**ثم يقولون:** ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٧].

**فيرد عليهم:** ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

ويقولون: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦ – ١٠٧].

فيرد عليهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨ – ١١٠].

**الدعاء**

# (٨٧) الحساب

**أما بعد:**

يراد بالحساب أن يُوقِفَ الحقُّ - تبارك وتعالىٰ - عبادَه بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه علىٰ ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا طالحين.

ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهينَ، وشهادة الشهود ووزن الأعمال.

والحساب منه العسير، ومنه اليسير، ومنه التكريم، ومنه التوبيخ، والتبكيت، ومنه الفضل والصفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين سبحانه وتعالى[(١)].

**حساب الخلائق على الله عز وجل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١٣].

---

(١) القيامة الكبرىٰ، عمر بن سليمان الأشقر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

**الله سريع الحساب:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٥١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

**ومن أسماء يوم القيامة يوم الحساب:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦].

**اقتراب الحساب:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١].

**موقف أهل الإيمان من الحساب:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].

**أهل الكفر لهم سوء الحساب:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ

لَافْتَدَوْا بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨].

**الحساب يوم القيامة نوعان:**

**النوع الأول: حساب عرض، وهذا يخص المؤمن:**

عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ**». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٨] قَالَ: «**ذَاكَ الْعَرْضُ**»[(١)].

أي: أن الحساب اليسير هو أن يُعْرَض العبد علىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ، ولكن لو نوقش العبد في أعماله وأقواله وأحواله فلا بد أن يهلك، فلو حاسبنا الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمه علينا لم تَفِ جميعُ أعمالنا الصالحة بأدنىٰ شكر لنعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا، فحقُّ الله عَزَّوَجَلَّ أعظمُ من أن يقوم به العباد، ونعمه أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أَصْبِحُوا تائبين، وأَمْسُوا تائبين[(٢)].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

---

(١) البخاري (٦٥٣٦) ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) أحمد فريد، مجالس رمضان.

**النوع الثاني حساب مناقشة:**

وهذا حساب الله للكفار، ومن شاء من عصاة الموحدين، وقد يطول حسابهم ويعسر بحسب كثرة ذنوبهم. وهؤلاء العصاة من الموحدين يُدْخل الله منهم النار من شاء إلىٰ أمد، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة إلىٰ أبد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ**»؟ قَالُوا: لا، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ**»؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**». قَالَ: «**فَيَلْقَىٰ الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلُ**(١) **أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ، قَالَ: فيقول: أَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيْ فُلُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدًا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنِ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعِلْمِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ**»(٢).

---

(١) فُلُ أي: فلان.

(٢) مسلم (٢٩٦٨) انظر المشكاة حديث (٥٥٥٥) باختصار من «لقاء الباب المفتوح» (٩٨/ ٩).

**قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:**

«اختلف العلماء رحمهم الله في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

هل المراد الكافر، أو المراد المؤمن والكافر؟ والصواب: أن المراد به المؤمن والكافر، كل يسأل عن النعيم، لكن الكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع، والمؤمن يسأل سؤال تذكير... سؤال المؤمن سؤال تذكير بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليه، حتىٰ يفرح ويعلم أن الذي أنعم عليه في الدنيا، تكرم عليه بنعمته في الآخرة، أما الكافر فإنه سؤال توبيخ وتنبيه» انتهىٰ.

**الدعاء**

# (٨٨) تطاير الصحف يوم القيامة

**أما بعد:**

إذا كان يوم القيامة فُتِحت الدواوين، ونُشِرت الصحف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠﴾ [التكوير: ١٠].

يأخذ كل إنسان كتابه، ولا يقع كتاب في غير يد صاحبه، إنها لحظة فارقة تُفرِّق بين أهل الحق وأهل الباطل، فالكل يأخذ كتابه وفيه سجل كامل لأعماله التي عمِلها في الحياة الدنيا، فقد سُجِّل في هذا الكتاب أعمال الإنسان وأقواله؛ صغيرها وكبيرها.

**كتاب الأعمال لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: ١٣ – ١٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر: ٥٢ – ٥٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١﴾ [الإسراء: ٧١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٨ - ٢٩].

**ففتح الدواوين وإظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، وتطايرها إلى الأيمان والشمائل، ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سألت النبي ﷺ: هل تذكرون أهليكم؟ قال: «**أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ، فِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِّ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَجُوزَ**»(١).

فنوَّع هنا النبي ﷺ الآخذ إلىٰ ثلاثة أنواع: بشماله واضح أنه بالشمال، وراء ظهره، الشمال تنزع وتكون من وراء ظهره، حينئذٍ نثبتها علىٰ هذه الثلاثة أحوال، وبعضهم أوَّل فقال: بشماله وراء ظهره هي نفسها، مرحلتين إما بالأيمان وإما بالشمائل، والشمائل إنما تنزع وتكون وراء الظهر.

---

(١) رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح علىٰ شرطهما.

### المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٠].

### والمآل بعد ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١ - ٢٤].

والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره، فيدعو بالويل والثبور، ويقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩].

### ويكون المآل بعد ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

## كتاب الأبرار في عليين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ١٨-٢١].

عن الْبَراء بن عَازِب في الحديث الطَّوِيل فِي شَأْن الْقَبْر مَرْفُوعًا: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ»[1].

## كتاب الفجار في سجين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾﴾ [المطففين: ٧-٩].

«فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، وَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»[2].

وطارت الصحف في الأيدي ... منشرة فيها السرائر والجبار مطلع
سهوك والأنباء واقعة ... عما قليل ولا تدري بما تقع
إما الجنان وفوز لا انقطاع له ... أو الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طورًا وترفعهم ... إذا رجوا مخرجًا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم ... فيها ولا رقة تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه ... قد سال قوم بها الرجعىٰ فما رجعوا

**الدعاء**

---

(١) رواه أحمد وابن حبان.

(٢) المصدر نفسه.

# (٨٩) الميزان

**أما بعد:**

«إذا انقضىٰ الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها». اهـ. كلام القرطبي. وعليه فالوزن كما نص عليه القرطبي ـ أيضًا ـ لا يكون في حق كل أحد، ذلك أن الله يدخل الجنة عبادًا من غير حساب، فلا وزن عليهم إذًا. والله أعلم[١].

ومعتقد أهل السنة والجماعة، أنهم يؤمنون بالميزان يوم القيامة، أي: أن هناك ميزانًا توزن فيه أعمالُ العباد وأقوالُهم.

والله تعالىٰ قادر علىٰ أن يزنها، فهي توزن ولو كانت أعراضًا، فإن الله تعالىٰ يجعلها أجسامًا، وتكون الخفة والثقل علىٰ حسب صلاح العمل، فالذي أعماله صالحة فإنها تَثْقُل في الميزان، والذي أعماله غير صالحة فإنها تَخِفُّ في الميزان.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة، أن الميزان له لسان وله كِفَّتان، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية»: «والذي دلت عليه السنة أن الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كِفَّتان حِسِّيَّتان مشاهدتان[٢]، توزن فيه الأعمال، ويوزن فيه الأشخاص أيضًا علىٰ حسب العمل، كما قال الله تعالىٰ عن

---

(١) القرطبي في التذكرة.

(٢) شرح الطحاوية بتحقيق الألباني ص (٤١٧).

الكفرة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»[١].

وثبت في الحديث الصحيح أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كشفت الريح عن ساقيه، وكان دقيق الساقين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فضحك الصحابة، فقال النبي ﷺ: «**لِمَ تَضْحَكُونَ؟**» قالوا: من دقة ساقيه يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ**»[٢].

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد، أو أن هناك موازين متعددة، فمن العلماء من قال: إنه ميزان واحد، ومنهم من قال: هي موازين متعددة، لكل شخص ميزان، ولكل أمة ميزان، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ومن قال إنه ميزان واحد أجاب عن ذلك بأنها جمعت باعتبار الموزون، وإلا فهو ميزان واحد.

فالمقصود أنه ميزان حسيٌّ، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وتوزن فيه الأعمال والأشخاص، فمن ثقلت موازينه فهو من السعداء، ومن خفت موازينه فهو من الأشقياء، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة: ٦-١١].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والبزار والطبراني، وهو حديث حسن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٨﴾ [الأعراف: ٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

وإليك أخي القارئ الكريم بعض الأعمال الموجبة لثقل الميزان عسىٰ الله أن ينفعنا وإياكم بها.

**١- فضل لا إله إلا الله:**

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتخْرجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**».

٢- قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»(١).

٣- قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»(٢).

٤- قال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»(٣).

قال رسول الله ﷺ: «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ خُلُقٌ حَسَنٌ، إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ الْبَذِيءَ»(٤).

## الدعاء

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وابن حبان (١٢/ ٥٠٦)، قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٨).

(٤) البيهقي في شعب الإيمان.

# (٩٠) الصراط يوم القيامة

**أما بعد:**

الله ﷻ يَمُدُّ الصراط جسرًا علىٰ شفير جهنم للجواز عليه، أَرَقُّ من الشعر، وأَحَدُّ من السيف، علىٰ ما صحت به الأخبار، وثبتت به الآثار عن رسول الله ﷺ، فيجوزه العباد بقدر أعمالهم، ويخف ويضعف جوازه بقدر طاعتهم ومعاصيهم، وقد ذكر الله تعالىٰ الصراط في غير موضع من كتابه، وتواترت الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ، وما يلحق الناسَ عليه من الأهوال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦١].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ**» -أي: الصراط- قيل: وما الجسر يا رسول الله! قال: «**دَحْضٌ مَزَلَّةٌ**» أي: تزل فيه الأقدام ولا تثبت، -اللهم ثبتنا علىٰ الصراط-. قيل: ما الجسر يا رسول الله؟! قال: «**دَحْضٌ مَزَلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ**» والحسك: نوع من أنواع الشوك ينبت في جزيرة العرب، والخطاف والكلوب معروفان: وهو حديدة معكوفة يخطف بها الإنسان ما يريد. قال: «**فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٍ، وَمَخْدُوشٍ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**».

وعن أبي سعيد الخدري: «**جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»، يضربه الله

جل وعلا علىٰ ظهر جهنم؛ ليمر عليه المؤمنون إلىٰ جنات النعيم، والمشركون إلىٰ جهنم وبئس المصير، فهو قنطرة بين الجنة والنار[(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: اختلف المفسرون في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

يعني: جهنم، والعياذ بالله، فقال بعض أهل العلم: الأظهر والأقوىٰ أن الورود في الآية هو: المرور علىٰ الصراط، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: لا بد لكل أحد أن يرِدَ علىٰ النار، أي: من فوق الصراط[(٢)].

وقد بين النبي ﷺ أن الناس عند تبديل الأرض غير الأرض يكونون علىٰ الصراط بألفاظ متقاربة، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾، فأين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ فقال: «**عَلَىٰ الصِّرَاطِ**»[(٣)].

وعن ثوبان أن حَبْرًا من أحبار اليهود سأل الرسول ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية.

(٣) مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، (٢١٥٠/ ٤)، برقم (٢٧٩١).

(٤) صحيح مسلم.

والمراد بالجسر الصراط.

وبين ﷺ صفة الأرض المبدَّلة، وأنها بيضاء عفراء، فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### الناس يوم القيامة ثلاثة:

### أهل الإيمان لهم النور يوم القيامة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

عن ابن مسعود: «**فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ، يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**»، الحديث، وفيه: «**فَيَمُرُّونَ عَلَىٰ قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ،**

(١) متفق عليه.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ الَّذِي يُعْطَىٰ نُورَهُ عَلَىٰ ظَهْرِ قَدَمَيْهِ، يَحْبُو عَلَىٰ وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، تَجُرُّ يَدٌ وَتَعْلَقُ يَدٌ، وَتَجُرُّ رِجْلٌ وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَخْلُصَ، فَإِذَا خَلُصَ وَقَفَ عَلَيْهَا وَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا؛ إِذْ نَجَّانِي مِنْهَا بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُهَا»[(١)].

**أهل الكفر: وهؤلاء في ظلام شديد.**

**أهل النفاق لهم النور الزائف الذي يطفئ وهم في أشد حاجة إليه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

قال الضحاك: طفئ نور المنافقين، فيتمايز أهل النفاق من أهل الإيمان، فإذا رأىٰ أهل الإيمان نور المنافقين طفئ علىٰ الصراط وجلوا وأشفقوا، وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

**الدعاء**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني.

# (٩١) التحذير من جهنم

**أما بعد:**

خوف الله عباده من النار، وحذرهم منها أشد التحذير، وأنذرهم غاية الإنذار، من عذاب النار، ومن دار الخزي والبوار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ [المدثر: ٣٥، ٣٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

يأمر الله تعالىٰ ملائكته بأخذ أهل النار إلىٰ النار، فيُساقون إليها جماعاتٍ وأفواجًا سوقًا شديدًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ – ٣٢].

ويرِدونها وهم عطاشٌ من حرِّ الموقف وطوله وأهواله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦].

ويُرمَوْن فيها علىٰ ركبهم، عليهم الأغلالُ والقيود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١ – ٧٢].

ويسحبون علىٰ وجوههم فيلقون في النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾ [الفرقان: ٣٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [القمر: ٤٨].

وجهنم لها شهيق وزفير وفوَرَان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢﴾ [الفرقان: ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ [الملك: ٧، ٨].

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ عباده المؤمنين أن يتقوا النار، وبين أن وقودها وحطبها الناس والحجارة والجن والأصنام التي كانت تعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة: ٢٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [الجن: ١٥].

عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا النَّارَ**» قال: وأشاح، ثم قال: «**اتَّقُوا النَّارَ**»، ثم أعرض وأشاح ثلاثًا، حتىٰ ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(١).

(١) متفق عليه.

عن أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا تَعَالَىٰ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»(٢).

عَن ابْن عمر قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَىٰ حُزْنِهِمْ».

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

### عظم أجسام أهل النار وأضراسهم وغلظ جلودهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ مِنْكَبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم (٦٥٥١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٥٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضِرْسُ الْكَافِرِ - أَوْ نَابُ الْكَافِرِ - مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ**»[(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

قد بدت أسنانهم ككلوح الرأس النضيج، أو المُشَيَّط بالنار، حتىٰ بدت أسنانهم، وتقلَّصت شفاههم[(٢)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وإنَّما عَظُمَ خَلْق الكافر في النار؛ ليعظُم عذابُه، ويُضاعَف ألمه وعقابه، وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام طعامَ أهل النار وشرابَهم وثيابَهم وشدةَ أهوالهم، فليرجع إليه من شاء في الجزء الأول من الموسوعة الندية[(٣)].

**الدعاء**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٥١).

(٢) التخويف من النار لابن رجب، (ص١٧١).

(٣) في خطبة صفات أهل النار.

# (٩٢) هل وجدوا ما طلبوا أم يئسوا فانقلبوا؟

**أما بعد:**

لا شك أن الفوز الحقيقي: هو الفوز بالجنة والنجاة من النار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وذلك أعظم المطالب؛ ولهذا قال ﷺ لِرَجُلٍ: «**مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟**» قال: أتشهَّدُ ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار. أمَا والله ما أُحسِنُ دَنْدنَتَكَ ولا دندنة معاذ. فقال ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(١).

وأيضًا قِصَر الأمل وتَذَكُّر الآخرة، فإذا تذكر المرء قِصَرَ الدنيا، وسرعة زوالها، وأدرك أنها مزرعة للآخرة، وفرصة لكسب الأعمال الصالحة، وتذكر ما في الجنة من النعيم المقيم، وما في النار من النكال، والعذاب الأليم أقصر عن الاسترسال في الشهوات، وانبعث إلىٰ التوبة النصوح وتدارك ما فات بالأعمال الصالحات.

ولذلك أهل النار ضيعوا أعمارهم وشبابهم وأوقاتهم في طول الأمل، والبعد عن الله عَزَّوَجَلَّ، والانغماس في الشهوات والملذات، والكفر بالله رب الأرض والسماوات، حتىٰ تنتهي الأعمار ويكونون من أهل النار.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ**

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، برقم (٧٩٢)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال في التشهد والصلاة علىٰ النبي ﷺ، برقم (٩١٠).

سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»[(١)].

فيكون لأهل النار طلبات عند الموت وعلىٰ أرض القيامة وفي النار، فتقابل كل هذه الطلبات بالرفض؛ لأنهم لم يتدبروا ولم يفهموا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩].

لذلك فهذا الموضوع يتحدث عن طلبات لأهل النار تقابل كلها بالرفض.

**طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٢-٥٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.

وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: ٥٥ - ٥٩].

## طلب النور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣ - ١٤].

## طلب الكافر أن يشهد على نفسه:

عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

---

(١) رواه مسلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٣].

**الفداء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٦ - ٣٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٧ - ٤٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١١ - ١٤].

**طلب الاستنجاد بالكبراء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧ – ٤٨].

## دعاء أهل النار على الكبراء والشركاء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ – ٦٨].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨ – ٣٩].

## دعاء أهل النار على أنفسهم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٣ – ١٤].

## طلب الانتقام من الأولياء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

**طلب سقيا الماء والطعام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف: ٥٠-٥١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**طلب تخفيف العذاب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

**طلب القضاء عليهم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٧].

وقال الرجلان كما في قصة رؤيا النبي التي رواها سمرة بن جندب، وفيها أنه «**رَأَى رَجُلًا لا يَضْحَكُ فَسَأَلَ: مَنْ هَذَا؟! فَقَالَ الْمَلَكَانِ: هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ لَمْ يَضْحَكْ مُنْذُ خَلَقَهُ اللهُ**»(١).

## طلب الخروج من النار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١١ - ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦ - ٣٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١١٠].

فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل.

الدعاء

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

# (٩٣) النضرة والغبرة

**أما بعد:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ۝٤٩﴾ [الأنبياء: ٤٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [إبراهيم: ١٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ [الطور: ٢٥ – ٢٨].

**قال إبراهيم التيمي**: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦﴾ [الطور: ٢٦].

فالقيامة هولها شديد، وهي خافضة رافعة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ٣].

ولذا فإن الوجوه تتغير وتتأثر بمواقف القيامة، فوجوه أهل الإيمان تسعد وتفرح وتستبشر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ

إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦ -١٠٧].

## وجوه أهل السعادة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤].

وهذه النضرة التي تُعرف في وجوه أهل الإيمان؛لأنهم ينظرون إلىٰ وجه الله الكريم ﷻ، فهيأ الله هذه الوجوه لمهمة، وهي النظر إلىٰ وجهه الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣].

عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦].

قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا، وَيُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ اللهَ، فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ**»(١).

وهذه الوجوه هي التي قال عنها ربنا تبارك وتعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩].

---

(١) رواه مسلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ [الغاشية: ٨-١١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**وأما عن وجوه أهل الشقاء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة: ٢٤-٢٥].

**تُوقِن أن يُفْعَلَ بها داهية من العذاب:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥].

أي: داهية كبيرة، تكسر فقرات عظام ظهره، ويقال: فَقَرَتْه الفاقِرةُ، أَي كسرت فَقَارَ ظهره.

**وعن وجوه أهل الغبرة والشقاء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ [عبس: ٤٠-٤٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية: ٢-٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: ٢٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [القمر: ٤٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزمر: ٦٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠﴾ [إبراهيم: ٥٠].

**الدعاء**

# (٩٤) النور التام

**أما بعد:**

الطريق إلىٰ الله في الحقيقة واحد، لا تعدد فيه، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلًا لمن سلكه إليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فوحد سبيله؛ لأنه في نفسه واحد، لا تعدد فيه، وجمع السبل المخالفة؛ لأنها كثيرة متعددة، كما ثبت أن النبي ﷺ خطَّ خطًّا ثم قال: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن يساره ثم قال: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فوحد النور الذي هو سبيله، وجمع الظلمات التي هي سُبُل الشيطان(١).

**وقد ورد النور في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على عدة معانٍ نذكر منها:**

**أولًا: النور بمعنى الإسلام:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم رحمه الله تعالىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

### ثانيًا: النور بمعنى القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورى: ٥٢].

لا بد من النور الخارجي - وهو القرآن - لمعرفة الحق، والاستفادة منه، والعمل به، والدعوة إليه.

### ثالثًا: النور بمعنى الإيمان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

وهذا هو النور الداخلي، وهو الإيمان، ومحله القلب، وباجتماع نور القرآن ونور الإيمان تحصل الهداية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

والإيمان بالله يأتي في حياتنا بمعرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، ويأتي بطريق الدعوة والمجاهدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالدعوة تزيد الهدىٰ، والهدىٰ يزيد الإيمان، والإيمان يحرك الجوارح للأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة توجه العبد إلىٰ الصفات الحميدة من التقوىٰ والإيثار، وحب الله ورسوله، وحسن الخلق، وبذلك يرضىٰ الله سبحانه، ويدخل أهل الإيمان الجنة.

### رابعًا: النور بمعنى الهداية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

### خامسًا: النور بمعنى النبي ﷺ:

أنعم الله عليه بنور النبوة والإيمان ليبدد به ظلماتِ الكفر والطغيان، حيث اختاره الله تعالىٰ نبيًّا له ورسولًا في الأرض، ونورًا يُهدىٰ به إلىٰ الجنة، وقد وصفه الله بذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة: ١٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال ﷺ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

---

(١) أخرجه أصحاب السنن من حديث العرباض بن سارية.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

### النور يوم القيامة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٢ – ١٣].

فبعد أن بين الله عَزَّوَجَلَّ حال المؤمنين، وكيف أنهم يعطون النور في الآخرة بقدر أعمالهم، ويحملون كتبهم بأيمانهم، وتبشرهم الملائكة بجنة الله عَزَّوَجَلَّ خالدين فيها، وأن ذلك هو الفوز العظيم، بين الله عَزَّوَجَلَّ أحوال المنافقين إذا حرموا النور يوم القيامة، أو أطفأ عنهم أحوج ما يكونون إليه.

عن ابن مسعود: «**فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ**

الْجَبَلِ الْعَظِيمِ، يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»، الحديث، وفيه: «فَيَمُرُّونَ عَلَىٰ قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ الَّذِي يُعْطَىٰ نُورَهُ عَلَىٰ ظَهْرِ قَدَمَيْهِ، يَحْبُو عَلَىٰ وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، تَجُرُّ يَدٌ وَتَعْلَقُ يَدٌ، وَتَجُرُّ رِجْلٌ وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَخْلُصَ، فَإِذَا خَلُصَ وَقَفَ عَلَيْهَا وَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا؛ إِذْ نَجَّانِي مِنْهَا بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُهَا»(١).

**الدعاء**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني.

# (٩٥) حوار السعداء والأشقياء

**أما بعد:**

إن الله ﷻ خلق الخلق ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، وجعل هذه الدار دارًا للامتحان والابتلاء، فانقسم الناس إلىٰ قسمين، كافر شقي، ومؤمن تقي، وقد أعد الله لكل منهما دارًا في الآخرة.. فمن آمن وعمل صالحًا فهو في جنة ونهر، ومن كفر وأفسد في الأرض فهو في نار وسقر.

**قد ساقت لنا آياتٌ من القرءان الكريم حواراتٍ عديدةً، منها:**

**حوار بين أهل الجنة وأهل النار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤].

أي وجدنا القصور العاليات والأنهار الجاريات والحوريات وكل ما وعدنا ربنا، فهل وجدتم جبال النار، ولبستم القطران، وأكلتم الغسلين؟! وهذا للتقريع والتوبيخ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: ٥٠-٥١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ

ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨ – ٤٧].

**حوار بين صاحب الجنة وصاحب كان له في الدنيا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الصافات: ٥١ – ٥٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**حوار بين أشقياء الإنس والجن:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ

قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٧ – ٢٩].

**حوار بين أهل النار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: ٥٩ – ٦٤].

**الدعاء**

# (٩٦) هذا عطاؤنا

**أما بعد:**

الله -تبارك وتعالىٰ- برحمته سخر الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادًا وفراشًا وقرارًا وكفاتًا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأخرج الفواكه والأقوات والمرعىٰ، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام، وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل... ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثىٰ من جنسه، وألقىٰ بينهما المحبة والرحمة، ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويتمتع كلُّ واحد منهما بصاحبه.

ومن رحمته أحوجَ الخلقَ بعضَهم إلىٰ بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنىٰ بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والمراعي والمرْعي، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عم الجميع برحمته، فكل ما في الكون من عطاء الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

**وإليك بعض الأمثلة والنماذج من عطاء الله عَزَّوَجَلَّ لعباده:**

**أولًا: حب الله لعباده المؤمنين:**

قال ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ**

**جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»**(١).

**ولكن لهذا الحب علامات وأمارات:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فالاتباع هو دليل المحبة الأول، وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة، وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية، ولا تتصور بمعناها الصحيح.

وإذا كان الله سبحانه قد جعل اتباع نبيه ﷺ دليلًا علىٰ حبه سبحانه، فهو أيضًا دليل علىٰ حب النبي ﷺ.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

هذه الآية حاكمة علىٰ كل من ادعىٰ محبة الله، وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية، بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله.

كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام. باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، (٩/ ١٢٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١][1].

وإليك هذا العطاء الوافر الكبير من رب العالمين جل وعلا لعباده المؤمنين الذين يحبونه ويحبون رسوله الكريم محمدًا ﷺ، ويسيرون علىٰ كتابه وعلىٰ سنة رسوله ﷺ.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّذِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[2].

وقال ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ فِي الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ سَقِيمَهُ الْمَاءَ**»[3].

## ثانيًا: عطاء الله للشاكرين:

فنعَم الله عظيمة كثيرة، لا تعد ولا تحصىٰ؛ لذلك يجب علينا أن نحمد الله تعالىٰ، وأن نشكره علىٰ نعمه التي أصبغها علينا، فالشكر مفتاح الزيادة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) تفسير ابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط. دار الفكر، بيروت، (١/ ٣٥٨).

(٢) صحيح البخاري.

(٣) صحيح الجامع.

**والشكر سببٌ لرضى رب العالمين تبارك وتعالى عن العبد:**

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**»(١).

فمن فوائد الحمد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرضىٰ عن العبد إذا أكل الأكلة أن يحمده عليها، وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها.

**ثالثًا: عطاء الله للذاكرين:**

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**» قالوا: بلىٰ. قال: «**ذِكْرُ اللهِ**»(٢).

فالذكر أزكىٰ الأعمال وخير الخصال وأحبُّها إلىٰ الله ذي الجلال، كيف لا وأنت أيها المؤمن إذا ذكرت ربك ذكرك ربك عَزَّوَجَلَّ؟!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

**بل إليك هذا العطاء:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٣٨٨).

**ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»**[(١)].

## رابعًا: عطاء الله للمتقين:

والتقوىٰ كلمة جامعة، من أجمع الكلمات الشرعية، ومعناها: أن يتخذ الإنسان وقاية من عذاب الله، ولا يكون هذا إلا بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، ولا يكون فعل الأوامر واجتناب النواهي إلا بعلم الأوامر والنواهي. إذًا فلا بد من علم، ولا بد من عمل، فإذا اجتمع للإنسان العلم والعمل نال بذلك خشية الله، وحصلت له التقوىٰ.

**فتقوىٰ الله إذن:** أن يتخذ الإنسان وقاية من عذابه، بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، ولا وصول إلىٰ ذلك إلا بالعلم. وليس المراد بالعلم أن يكون الإنسان بحرًا في العلم، بل المراد به العلم بما يعين عليه من أوامر الله. والناس يختلفون في ذلك: فمثلًا من عنده مال يجب أن يعلم أحكام الزكاة، ومن قدر علىٰ الحج وجب عليه أن يعلم أحكام الحج، وغيرهم لا يجب عليهم، فعلوم الشريعة فرض كفاية إلا ما تعين علىٰ العبد فعله، فإن علمه يكون فرضَ عين[(٢)].

## وعطاء الله للمتقين وافر وعظيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الذاريات: ١٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [الدخان: ٥١].

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١﴾ [المرسلات: ٤١].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧﴾ [الطور: ١٧].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

## خامسًا: عطاء الله للتائبين:

فإن التوبةَ لا يخاطَب بها أصحاب الكبائر والموبقات، الذين ارتكبوا السيئات والمنكرات، ووقعوا في البدع والخرافات، والفواحش والزلات، بل الصالحون والمهتدون مطالبون دائمًا بتجديد التوبة إلىٰ الله.

فقد خاطب الله تعالىٰ بها الصحابة في المدينة بعد تضحياتهم وهجرتهم في الله وجهادهم في سبيل الله.

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم: ٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧٠ – ٧١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلىٰ صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب.

**سادسًا: عطاء اللّه لمن كانت الآخرة همه:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ﴾ [الشورىٰ: ٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[1].

فهذه بعض الأمثلة على عطاء الله عَزَّوَجَلَّ، فهي قليل من كثير، وإلا فالحديث عن عطاء الله يطول ويطول، وكيف لا وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠].

**الدعاء**

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في الزهد، والترمذي.

# الفهـــرس

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|